كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

البعد التصويري والإيحائي للإيقاع الصوتي

النص القرآني أنموذجاً

إعداد

د / عازة عبدالعزيز محمد عبدالسند

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الخامس والثلاثون الجزء الثاني ٢٠١٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العليم الهادي ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، المبعوث رحمة للعباد وعلى آله أعلام الإسلام ، وأصحابه مصابيح الظلام ، وعلى من سلك طريقه واقتفى أثره وتبع سنته إلى يوم الدين ..... وبعد :

حرص البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في جمله ، وتناغم الحروف في تركيبه وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه ، فكانت مخارج الكلمات متاوزنة النبرات ، وتراكيب البيان متلائمة مع الأصوات ، فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها ، فجاء كل لفظ متناسبًا مع صورته الذهنية من وجه ، ومع دلالاته السمعية من وجه آخر ، فالذي يستلذه السمع ، وتسيغه النفس ، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقق في العذوبة والرقة ، والذي يشرأب له العنق ، وتتوجس منه النفس هو المتحقق في الزجر والشدة ، وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلبًا وإيجابًا ، وهذا نابع من هندسته التشكيلية التي تستند في الأساس إلى بنائه النصي المؤلف من مجموعة الأفكار والموضوعات والأساليب مختلفة الصياغة ، وهذه الأساليب تمتلك دلالات إيحائية تعد الظلال الذي تلقيه ألفاظ النص ، وهي في واقع الحال خفية يظهرها سياق النص ومقامه الذي انتظم فيه الخطاب .

فثمة ألفاظ ترسم صورة النص لا بجرس أصواتها الذي تلقيه في الآذان فحسب ؛ بل بظلالها وإيحائتها الخاصة التي لا يلمحها ولا يلحظها إلا الحس البصير .

لذا جاءت هذه الدراسة { **البعد التصويري والإيحائي للإيقاع الصوتي ، النص القرآني أنموذجاً** } في محاولة للكشف عن جمالية النص القرآني ، وقوته التصويرية والإيحائية المتمثلة في الإيقاعية التي تتمتع بها ألفاظه وجمله ، والتي استخدم القرآن الكريم معها الإيقاع المناسب لأجواء كل سورة أحيانًا على شكل تردد بسيط واضح ، وأحيانًا على شكل تردد معقد ينطوي على التوازي والانتظام ، وأحيانًا يخالف التوقع لغاية يتطلبها النظم .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تقسم إلى المحاور الأتية :-

مقدمة : ألقيت فيها الضوء على طبيعة الخطاب القرآني التي اقتضت مناسبته لكل العصور ، وتفرده بسمات صوتية ميزته عن نصوص الشعر والنثر .

وتلا ذلك **التمهيد** الذي أوضحت فيه : المؤثرات الداخلية والخارجية في الأصوات ودلالاتها والتي تنبع أحيانًا من الطبيعة التشكيلية للصوت ، بوصفه المادة الأولية للألفاظ ، وأحيانًـا من العوامل الخارجية التي تتمثل في ناطق الصوت ومتلقيه .

ثم تحدثت عن التآلف العجيب والمعجز للنص القرآني من حيث بنائه النصي والدلالي الذي عكس صورة عن قدرة إعجازية لا يناظرها نصٌ آخر في القدرة التصويرية والإيحائية .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى تعريف الإيقاع في اللغة والاصطلاح ، مع بيان أهم مستوياته .

ثم عرضت المبحث الأول :

وجاء بعنوان " **القوة الإيحائية للإيقاع الصوتي**"

ثم المبحث الثاني :

وجاء بعنوان " **تماثل الأصوات وأثره في إيحائية الإيقاع** "

ثم المبحث الثالث :

وجاء بعنوان " **مظاهر الإيقاع في النص القرآني** "

ثم خاتمة أودعت فيها أهم النتائج . وتلا ذلك الفهارس .

وبطبيعة البحث العلمي أنه يوجد به عناء كبير ، تتولد عنه راحة تامة ، إذا ما حقق الغاية المرجوة منه ، ولا أدعي هذا للبحث ، فقد يحدث وقد لا يحدث ، ولكنه قد يكون إشارة محدودة قد تفتح الطريق أمام الباحثين في هذا الميدان .

(**وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**)

الباحثة

التمهيد

المؤثرات الداخلية والخارجية في الأصوات ودلالاتها

إن دراسة الأصوات اللغوية ودلالة هذه الأصوات يخضع لجملة من المؤثرات منها ما هو نابع من الطبيعة التشكيلية للصوت ، ومنها ما هو مرتبط بعوامل خارجية تتمثل بناطق الصوت ومتلقيه . فالمادة الأولية للألفاظ هي الأصوات ووضع هذه الأصوات في أطر كلامية معبرة ومؤثرة هي التي تؤدى المعنى المطلوب من دون هذه الأطر الدلالية المعبرة عن المعاني يصبح الكلام مجرد أصوات لا معنى لها فالأصوات تكتسب معناها من خلال دلالتها التعبيرية داخل التشكيل الكلامي الذى يخضع لجملة من القوانين منها ما هو وضعي؛ أي أنه مرتبط بالناحية التنظيمية للجملة وهذا مرتبط بالمبدع ، ومنها ما هو وظيفي يكتسب دلالته من خلال الوظيفة النحوية والصرفية للغة وكل هذا خاضع بشكل أو بآخر لعمل المبدع وتأثيره في النص .

أما اللغة بمكنوناتها فتعد خزينًا للمبدع يستقى منها تعابيره وتراكيبه اللغوية بشكل يتناسب مع موضوعه المطروق ، فلكل مبدع طريقته في التعامل مع اللغة وإبداعه خاضع للكيفية التي يوظف بها اللغة ، وخاضع للأنظمة الصوتية التي يركب منها ألفاظه وعباراته ، وكذلك للأطر الموسيقية التي يختارها للتعبير عن موضوعه ؛ لا سيما عندما يكون المبدع {شاعرًا } فالجانب الموسيقى له دور كبير في إبراز شاعريته، فضلًا عن الدلالة اللفظية لتراكيبه الشعرية ، فالشعر والموسيقى

" يعتمدان الأداء الصوتي وإن اختلفت لغتهما وقدرتهما على الأداء " [١] .

أما النص القرآني فإن التأليف العجيب له والمعجز من حيث بنائه النصي والدلالي ليعكس صورة عن قدرة إعجازية لا يناظرها نص آخر في القدرة التصويرية والإيحائية التي تمتعت بها ألفاظه ؛ ذلك لأن للألفاظ معانى ودلالات لا تلمس إلا بالنسج المتفرد في التعبير القادر على اطلاق تلك المعاني في فضاءات النص لتستطيع الإيحاء المعبر عن الصور والمعاني الخفية له .

كما أنه تميز بإعجازه الصوتي الذى يتمثل في العلاقات الداخلية المنظمة للبنية الصوتية[٢] ومن خلال التحليل الدقيق لبنية الألفاظ القرآنية نجد أننا إزاء جملة من المتوازيات الصوتية والمقطعية ، فالفواصل القرآنية تعتمد في أغلبها على فواصل فونيمية ومقطعية وهذه الفواصل لها دور كبير في التشكيل الإيقاعي للبنية الإيقاعية ، إذ نجد أن ما تحدثه هذه الفواصل من تناسق وانسجام شكل بدوره امتيازًا كبيرًا ، فضلا عن ما شكله السياق ككل في بنيته الصوتية من إيقاعية تناسبية .

(١) المنهل الصافي في العروض والقوافي ، د/ عبد الله فتحي الظاهر ، ابن الأثير للطبعة والنشر الموصل ٢٠٠٧م ، ص ١٦ .

(٢) قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مازن الوعر ، الطبعة الأولى ، دار طلاس للدراسات ، دمشق ١٩٨٨م ، ص٦٣ .

" فالبنية اللغوية تشكل في تنظيمها الفونولوجي وحدة متكاملة ، تخضع لمجموعة من القوانين والأنظمة الصوتية ، والصرفية والدلالية " (١) .

وعند معالجة أي نص لغوي لا بد من إخضاعه لهذه المستويات أي : {الصوتي والصرفي والدلالي } ، ويأتي المستوى الصوتي على رأس هذه المستويات لأنه يعتمد في بنيته على المستويين الأخيرين بشكل أو بآخر ، ومثال ذلك ما نجده في بعض الأفعال الواردة في النصوص القرآنية ، فعند معالجتنا لها صوتيًا تقودنا إلى معالجة ثانية صرفية وثالثة دلالية وهذا إنْ دلّ على شيء فإنما يدل على تداخل هذه المستويات فيما بينها لتكون النتيجة في النهاية خدمة البنية اللغوية الكلية ، مثال ذلك لفظة { زُحْزِحَ } (٢) والواردة في قوله تعالى ﴿ وَمَا هُو بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ ﴾ وقوله تعالى﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ إذ نجد أن البنية اللغوية لهذا الفعل المضعّف قد خلق مزيجًا صوتيًا بين صوتين أولهما { الزاي } المجهورة ، والثاني { الحاء } المهموسة فالبنية الصوتية لم تأت من فراغ وإنما جاءت نتيجة التعانق الدلالي والصرفي ، وهذا ينطبق على الكثير من الأفعال الواردة في القرآن الكريم . ففي التشكيل الإيقاعي نجد أننا عند المعالجة الصوتية للفظة من الألفاظ ننظر إليها من خلال الأصوات المكونة لتلك اللفظة وكذلك من خلال الزيادات

(١)علم الصرف الصوتي ، للدكتور / عبد القادر عبد الجليل ، سلسلة الدراسات اللغوية ١٩٩٨م ص ٩٦ .

(٢) سورة البقرة أية { ٩٦ } ، وسورة آل عمران أية { ١٨٥ } . الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، لعبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٤م ، ص ٦٤ .

الداخلة عليها فهذه الزيادة قد تشكل في المدلول اللغوي زيادات نحوية لها موقعها النحوي في السياق فضلًا عن ما تحويه هذه اللفظة من دلالة لغوية ، كل هذا يجعلنا ننظر إلى الألفاظ من خلال ما تتشكل منه أصوات لغوية لها مدلولها الصوتي ، فضلًا عن مدلولها الصرفي والدلالي ، فلكل لفظة بنية صوتية وهذه البنية تخضع للزيادات التي تؤدى في نهاية المطاف إلى زيادات صوتية لها قوتها التعبيرية وهذا ما يهمنا .

كما اهتم القرآن الكريم بتخير : " الألفاظ تخيرًا يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق ، بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان وبخاصة تلك السور القصار التي حفل بها العهد المكي لتأكيدها أصول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله وتوحيده ، والتصديق برسالة النبي المبعوث – صلى الله عليه وسلم – والبعث والنشور، والجنة والنار، وما إلى ذلك من موضوعات مهمة في بناء العقيدة الاسلامية" (١).

ومن هنا جاءت أساليب الدعوة القرآنية مشتملة على مجموعة من الألفاظ التي تميزت بجرسها الموسيقي الذي أضفى ظلاله على النص وأسهم في الكشف عن معناه .

(١) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، للدكتور / كاصد ياسر الزيدي ، مجلة آداب الرافدين، العدد التاسع ١٩٧٨م ، ص ٣٣٥ .

تعريف الإيقاع في اللغة والاصطلاح :

أولًا في اللغة :-

يقول ابن منظور : " الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء ، وهو أن يوقع الألحان ويبينها وسمى الخليل – رحمه الله – كتابًا من كتبه في ذلك المعنى ، كتاب { الإيقاع } " (١) .

ثانياً في الاصطلاح :-

عرفه ابن سينا بقوله : " الإيقاع تقدير ما لزمن النقرات ، فإن اتفق أن كانت النقرات منغمة ، كان الإيقاع لحنيًا ، وإذا اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعريًا " (٢) .

وفي العصر الحديث عرفه سوريو :" الإيقاع : تنظيم متوال لعناصر متغيرة كيفيًا في خط واحد بصرف النظر عن اختلافها الصوتي " (٣) .

وعرفه محمد العياشي بقوله : " وأما الإيقاع : فهو ما توحي به حركة الفرس في سيره وعدوه ، وخطوة الناقة ، وما شاكل ذلك ، لخضوع تلك الحركة في

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ١٥ / ٢٦٣ مادة { و ق ع } .

(٢) مفهوم الشعر ، لجابر عصفور ، مطبوعات فرح ، الطبعة الرابعة ، قبرص ١٩٩٠ م ، ص ٢٤٧ .

(٣) الأسس الجمالية في النقد العربي ، لعز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٨، ص١٢٤.

سيرها إلى مبادئ لا تفريط فيها هي : النسبية في الكميات ، والتناسب في الكيفيات والنظام ، والمعاودة الدورية وتلك هي لوازم الإيقاع " (١) .

أما حقيقة الإيقاع القرآني :-

يرى كثير من الباحثين أن الإيقاع القرآني يصعب شرحه لما يمتاز به من عمق وسحر لا يُعرف مصدره تحديدًا ، وإن كان من الممكن الحديث عنه أو تفسيره تخمينًا . يقول سيد قطب : "على أن هناك نوعًا من الموسيقى الداخلية يلحظ ولا يشرح ، وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة ، وتركيب الجملة الواحدة وهو يدرك بحاسة خفية وهبة لدنية " (٢) .

وكثيرًا ما نلمح في النص القرآني ما يعضد هذا الإيقاع ، ويقوي أصوله ، مثلما نلمح في قوله تعالى من سورة طه : ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** ﴾ (٣) كلمات في غاية الرقة مثل { **يَبَسًا** } أو { **لاَ تَخَافُ دَرَكًا** } فالكلمات تذوب في يد خالقها ، وتصطف وتتراص في معمار ورصف موسيقي فريد .

ويرى مصطفى صادق الرافعي أن هذا الإيقاع القرآني الفريد هو مناط الإعجاز والتحدي لقريش لمّا قرأه عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في

(١) نظرية إيقاع الشعر العربي ، لمحمد العياشي ، المطبعة العصرية ، تونس ١٩٦٧م ، ص ٤٢ .

(٢) التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، دار المعارف ، مصر ،ص ١٠٦ .

(٣) سورة طه الآيات { ٧٧ : ٧٩ } .

بدء الدعوة . يقول الرافعي : " لمّا قرئ عليهم – يعني قريشًا – القرآنُ رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله ، ألحانًا لغوية رائعة ، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة ، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم به ؛ وكأن ذلك أبين في عجزهم حتى إن من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظمًا موسيقيًا أو بابًا منه ، وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني ، كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها . وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب إلا أن يكون وزنًا من الشعر أو السجع " [١] .

وقد حاول سيد قطب توضيح حقيقة الإيقاع في القرآن فقال : " إن في القرآن إيقاعًا موسيقيًا متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان . فالإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل آخر ، ومرده إلى الحس الداخلي . والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع ، ولو اتحدت الفواصل والأوزان " [٢] .

وقد حاول الرافعي الاقتراب من سر هذه الموسيقى فيقول : " فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره ، أو أقحم معه حرف آخر ، لكان ذلك خللًا بينًا أو ضعفًا ظاهرًا في نسق الوزن وجرس النغمة ، وفي حس السمع وذوق

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، ص ١٤٨

(٢)التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

اللسان ، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ، ولرأيت لذلك هجنة في السمع كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها ، ولم تتفق على طبقاتها وخرج بعضها طولًا وبعضها عرضًا " [١].

مستويات الإيقاع :-

يمكننا أن نصنف مستويات الإيقاع في العربية إلى ثلاثة مستويات هي :

الأول : ويظهر فيه الإيقاع معتمدًا على توزيع المقاطع اللغوية ، وعندئذ يسمى الإيقاع الكمي [٢] .

الثاني : ويعتمد الإيقاع فيه على { النبر } في الجمل ، إذ تنتظم المقاطع تبعًا لانتظام النبر. فالإيقاع يعطي نوعًا من النظام للمقاطع المنبورة ، ويمكن عده في اللغة العربية تبادلًا بين المقاطع المنبورة وغير المنبورة في داخل انتظامات إحصائية محددة [٣] .

(١) إعجاز القرآن ، لمصطفى صادق الرافعي ، ص ١٥٠ .

(٢) انتروبيا الإيقاع في العربية ، للدكتورة / ليلى الشربيني ، وسيد البحراوي ، مجلة {فصول} القاهرة مج ١٥ ، العدد الرابع ١٩٧٤م ، ص ٢٩٨ .

(٣) التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، لسليمان العاني ، ترجمة الدكتور / ياسر الملاح ، مراجعة الدكتور / محمد محمود غالي ، النادي الأدبي الثقافي ، جده ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٣٤ وما بعدها بتصرف .

ويخضع النبر في اللغة العربية لانتظامات وقواعد محددة تتمثل في [١] :

١ – يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان هذا المقطع طويلًا مثل كلمة {مكتوب } .

٢ – يقع النبر على المقطع قبل الأخير من الكلمة إذا كان هذا المقطع متوسطًا مثل كلمة {الأعلى } .

٣ – يقع النبر على المقطع ما قبل الأخير من الكلمة إذا كان المقطع قصيرًا مثل كلمة {عَلامَ ، إلامَ } .

وعلى هذا فإنه وفقًا للمقطع الأخير من الكلمة يتحدد موقع المقطع المنبور فيها [٢] .

الثالث : فالإيقاع يعتمد فيه على { التنغيم } أي أصوات الجمل من صعود وانحدار وما شابه ذلك . أي أنه " حسبما تنتهي الجملة صوتيًا ودلاليًا يأخذ التنغيم شكله . فالجملة التقريرية { الإثبات ، والنفي ، والشرط ، والدعاء } تنتهي بنغمة هابطة { / } . كذلك الأمر بالنسبة للجملة الاستفهامية بغير الأداتين { هل ، والهمزة } .

---

(١) في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، للدكتور / كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ م ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) انتروبيا الإيقاع في العربية ، للدكتورة / ليلى الشربيني ، وسيد البحراوي ص ٢٧٢ .

أما الاستفهام بهاتين الأداتين فإن الجملة الاستفهامية تنتهي بنغمة صاعدة { ١ } . لكن إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى وقف على نغمة مسطحة { ـ } لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة " (١) .

والتنغيم بنغماته الثلاث وبدوره الصوتي المهم يؤدي وظيفة عظيمة تتمثل فـــي "انسجام الأصـــــوات حيث تكتمل فيه النغمات وتتآزر مؤدية المعاني والمقاصد " (٢) .

كما أنه يلعب دورًا رائعًا في تغيير دلالات الجمل من تركيب إلى آخر ، ومن باب إلى باب فلنقرأ قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ (٣). فالنغم الموسيقي في هذه الآية له دلالة كبرى في الكلام . فالتنغيم في الجزء الثاني من الآية يُعَدُّ محورًا رئيسًا في تحديد التركيب . فيمكن أن نقرأ كما يلي :

- جملة { قَالُواْ جَزَآؤُهُ } بنغمة الاستفهام ؛ أي : ما جزاؤه ؟
- وجملة { مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ } على التقرير جملة واحدة .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور / تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣م ص ٢٣٠ .

(٢) التنغيم في التراث العربي ، لعليان بن محمد الحازمي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة مج ١٢ ، ١٩٩٥م ص ٢٨٣ .

(٣) سورة يوسف أية { ٧٤ ، ٧٥ } .

– ونقرأ على التعجب والاستهجان { قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ } !

– ونقرأ على التبرم والانزعاج { مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ } .

وهكذا في تقليبات تنغيمية في سياق الآية دون المساس بالأصل الدلالي ، بل يتم التنويع في إطار هذا الأصل الدلالي ودون العدول عنه . وعلى هذا فإن المستويات الثلاثة المشكلة لجوهر الإيقاع من مقاطع ونبر وتنغيم هي في جوهرها منظومة متكاملة للمعنى الإيقاعي في سياق النص القرآني . كما أنها تسهم في إضفاء لمسة نظمية على سياق الإيقاع من ناحية ، وتشييد بعد جمالي في إطار هذا النظم من ناحية أخرى ، وما ذاك إلا تنويع على الوتر الصوتي الذي يمثله هذا المفهوم .

ويجب أن نقرر أن التعامل مع المستوى الأول من مستويات الإيقاع وهو المستوي {الكمي}هو الأكثر حضورًا في هذا السياق ، وإن كان ذلك لا يمنع حضور المستويين الآخرين بشكل ضمني في سياق هذا المستوى . كما أنه يمكننا اعتماد الإيقاع كبنية بلاغية تنطلق من كون { الوزن } أساسه التعامل مع الكلمة ، في حين أن الإيقاع لا يتعامل مع الكلمات ، بل إن أساسه { الجملة الواحدة } [1] .

(١) الشعر العربي الحديث ، للدكتور / نعيم اليافي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨١م ، ص ٢٨٢ .

المبحث الأول

القوة الإيحائية للإيقاع الصوتي

إن انتظام الأصوات اللغوية في السياق له أثر واضح في إبراز التلاؤم الصوتي الذى يعد ركيزة أساسية في إيجاد التصوير الإيقاعي ، فلا يمكن لأى لغة من اللغات أن تكون معبرة عن معانيها بشكل منتظم إن لم تكن خاضعة في أنظمتها لنوع من التناسق الإيقاعي .

واللغة العربية تمتلك من التعابير ما يجعلها متجددة دائمًا ومدخرة في داخلها طاقات تعبيرية تظهر من خلال الأنساق المكونة للسياقات الكلامية ، فلا يمكن أن تؤدى اللفظة دلالة من دون أخواتها لأن " اللفظة منفردة لها معنى محدد وأفق ضيق لا يتعدى المعجم أما إذا كانت مع أخواتها في سياقها اللغوي اللازم وبحسب مواضعها في النظم فلها إمكانات متعددة للتعبير "[1] .

كما أنها توفر للنص سلسلة متتابعة من الأساليب التعبيرية التي تكون الكلمة المفردة أساسها البنائي لتنتهي تلك السلسلة في أبسط صورها بالصوت اللغوي ، الذى عُرف بأنه: "عرض يخرج مع النفس مستطيلًا متصلًا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده ، واستطالته ، فيسمى المقطع

(١) مفهوم النص في التراث اللساني العربي د/ بشير إبرير ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٣، العدد الأول لسنة ٢٠٠٧ م ، ص ١١١ .

أينما عرض لـه حرفًا ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها " [١] .

فوظيفة الصوت إذن توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة في التجاور والارتباط والموقع تبعًا للموقعية والنبر والتنغيم ؛ ذلك لأن الكلمات المنطوقة " تتكون من أصوات متتابعة ينزلق كل تابع منها عن سابقه ، وليست هذه الأصوات في الكلمة بنفس القوة وإنما تتفاوت قوة وضعفًا بحسب الموقع " [٢] .

وتتأتى تلك الوظيفة من مجموع تشكيل الأصوات داخل بنية لفظية ما تنسجم مع غيرها لتؤدي وظيفتها الدلالية ضمن بنية تركيبية سياقية تمنح النص دلالته المغيبة التي تولد بتألف الأصوات فيما بينها .

كما أن للأصوات والبنى الصوتية أهمية تسهم في تشكيل المعنى وإضفاء الطابع الإبداعي من تردد لصوت معين في موقع بعينه ، " وتجاوره مع غيره داخل سياق النص فتختلف دلالات البنى تبعًا لموقعية الأصوات وتكتسب بعدًا دلاليًا آخر يتناسب مع السياق النصي، فلكل صوت ايحاءاته وقيمه الأسلوبية الموائمة للسياق، فإيقاع الأصوات في سياق الفرح يغاير نظيره في سياق الحزن وكذا الوعد

(١) سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تحقيق / حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ١ /٦ .

(٢) مناهج البحث في اللغة ، للدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧٩م ، ص ١٩٤ .

والوعيد " [١] .

وهذا يعنى أن ثمة وشيجة قوية بين الأصوات والمدلولات فكل صوت يومئ ويشير إلى دلالة معينة ، بمعنى آخر يجسد شكل المعنى ، فيصبح الصوت شفافًا مصورًا للمعنى وهو ما يعرف اليوم بـ " الأنوماتوبيا Onomatopoea " [٢]فلو تأملنا قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ [٣] لألفينا أن صوت { الطاء والميم }المجهورين الشديدين الواردين في لفظة {الطَّامَّةُ } الدالة على يوم القيامة يعبر عن هول ذلك اليوم ، وتشعرنا بحركة الطم المناسب لهول وقوة وشدة يوم القيامة ونكاد نشعر بدوى وطنين[٤] فكانت الأصوات معبرة بإيحاءاتها وتصويرها لتلك الصورة المروعة وكأن الإيقاع للفظة المرآة العاكسة لذلك الموقف .

يتبين لنا من كل ما تقدم أن إيحائية الإيقاع تحصل من توقيعات صوتية تتجاوز الصوت وحده ، وقد تتجاوز الكلمة أحيانًا ، إذ يُكون من تآلف وتدفق الأصوات في بنية النصوص اللغوية . وعودا إلى الإيقاع القرآني نجد أنه : " تلك

(١) الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم ، محمد فريد عبد الله ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ، ص٢٢ .

(٢) الجرس والإيقاع في التعبير القرآن ، د/ قاصد ياسر الزيدي ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل العدد التاسع ١٩٧٨م ، ص ٣٤٣ .

(٣) سورة النازعات أية { ٣٤ } .

(٤) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار المعارف ، مصر ص ٧٣ .

الظاهرة التي تقوم على التكرار المنتظم " [١] ذلك التكرار الذى يتشكل ويتلون تبعًا لاختلاف النصوص ومضامينها ودلالتها ؛ إذ إن إيقاعية النص القرآني مما امتاز به نسيجه وطُبع به بناه بخاصية أسلوبية إعجازية وتقنية فنية لا نظير لها ، كما أنه : " المظهر الخفي ذو الإيحاءات القوية المبثوثة " [٢] ٠عبر فونيمات وأجراس الأصوات ٠

كما أن جمالية الإيقاع وإيحاءاته لا تتأتى من الإيقاع الخارجي فقط ، وإنما تتجاوز ذلك إلى الإيقاع الداخلي للنص الحامل لشحنات شعورية وتموجات نفسية لها إيحاءاتها العاكسة لجو السورة وسياقها النصي المعبر عن مضمون النص ودلالته [٣] ٠

ولا تدرك هذه الجمالية إلا لمن أوتى ذهنية وفكرًا متفتحًا مستوعبًا لإشارة لغة النص وإيحاءاته التي تطلقها بُنى الكلمات ، إذ تتميز المفردة القرآنية بسمة انفردت بها وهى التوالد والافضائية في الدلالات لا يلمحها إلا المتلقي الفطن فيغدو الفهم وسيلة لبناء المعنى وتوليده ، وانتاجه في الوقت ذاته ؛ أي أنه يساهم بإدراكه العقلي في إثراء النص وفهم ما وراء النص ومعانيه الثواني أو ظلاله ٠

ولعل هذا الأمر يثير تساؤلا منطقيًا عن ماهية ظلال المعنى للنصوص أو

---

(١) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠١ م ، ص ٨١

(٢) السابق ص ١٣١ ٠

(٣) السابق ص٨٦ ٠

ما يسمى {SHADES OF MEANING} كما يطلق عليه الغربيون وما يعرف لدى اللغويين بإيحاءات النص ، أو الدلالات الثواني ، ونقصد بإيحائية النصوص : تلك اللمحة الخفية التي لا يكشفها لنا النص إلا بالتأمل والإمعان ، فلو عدنا إلى ما ذكرته المعجمات العربية لألفيناها تذكر أن أصل الكلمة يشير إلى أن الوحى هو : " الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي "[١] أو هو: " الإشارة السريعة " [٢] .

فالإيحاء إذن نتاج لغوى يتجاوز الفهم الظاهري للكلمة أو إشارتها المعرفية ، وهو ذو قيمة وأهمية كبيرة في الوصول إلى تصور كامل للمعنى .

ومن ثم يتطلب إدراك إيحائية النصوص خاصة القرآنية منها حسًا وشعورًا فائقين يتجاوز البنية الظاهرية أو الفهم الظاهري إلى العلاقات التي يولدها سياق النص الناتج في تشابك الأصوات والمفردات مع التركيب ، ذلك لأن القوة التعبيرية والدلالية للفظة لا تظهر من معناها فقط بل من طبيعة نشأتها الصوتية ، التي تعكس صورًا إيقاعية متعددة ، تنسجم مع إيحاءاتها الظاهرة منها وغير الظاهرة .

ومما يدل على استقلالية المفردة القرآنية بجرسها وإيقاعها وقدرتها المتفردة على تصوير لوحة كاملة يكون فيها اللون زاهيًا شاحبًا،والظل فيها شفيفًا أو كثيفًا .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م ،٣٧٩/١٥ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م ، ص ٥٤٨ .

لنتأمل قوله تعالى:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [١] إذ جسم جرس {السين} الحركة وإيقاعها يوحى بحركة الليل وهو يعس في الظلام والخفاء كما يعس الماشي ويطوف في الليل تارة بيده وأخرى برجله، وهو إيحاء بالجرس المؤدى للمعنى ، أما جرس السين في لفظة { تَنَفَّسَ } فإنه يوحى بالرقة والسلاسة الملائمة لرقة الصبح ونداوته ، وحركة انفلات الصبح بعد ظلمة الليل [٢].

فاللفظ إذن يستدعى الصورة الذهنية ، والصورة تنوب عن الشيء نفسه ، وهذه الحقيقة قررها النص القرآني منذ القدم ، وأكدها المحدثون الغربيون أمثال جان كوهن حين أشار إلى أن القدرة الانفعالية للألفاظ " هي نفسها قدرة الأشياء التي تشير إليها"[٣]. ونتيجة لذلك " فقد أضحى من الضرورات الملحة لا سيما على صعيد الدراسات الأسلوبية والنقدية واللغوية توجيه الانتباه لما تستلزمه كلمات اللغة من استدعاءات وإيحاءات "[٤] للاستدلال به على الأبعاد الإيحائية للنص .

(١) سورة التكوير أية { ١٧ ، ١٨ } .

(٢) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن { بحث } ص ٣٣٥ .

(٣) بنية اللغة الشعرية ، لجان كوهن ، ترجمة / محمد الولي ، محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، ص٢٠١ .

(٤) وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية {دراسة حول المعنى وظلال المعنى} لمحمد محمد يونس على ، منشورات جامعة الفاتح ، ليبيا ١٩٩٣ م،ص١٦٦.

أما إيحائية السياق :

فهي ظاهرة لغوية دلالية تختص بتركيب النص وبيان معانيه ، فمعانى التركيب لا تفهم بمجرد فهم معانى المفردات المكونة له بل بكيفية ترابط تلك التراكيب والمعاني وفقًا لعلاقات بنائية تشكل هيكلية النص وبنائه .

فقيمة النص تظهر بما تحدثه إشاراته من تواصل بين المرسل والمتلقي فللكلمة أثرٌ في الإيحاء بالمعنى يتأتى من حسن الاختيار وجودة الانتقاء للكلمات المؤثرة في نظمها وجرس أصواتها بما يبعث الانفعال في نفس المتلقي إذا طابق المقال مقتضى الحال والمقام.

فسياق النص قد يكون له من القوة التي تستطيع تفريغ الكلمة من الشحنات والأهداب التي أحاطت بها خارجه ليمنحها حياة جديدة فكأنها " مولود جديد ، مستمدة إيحاءاتها مما يحيط بها من الكلمات ، ومتأثرة بالبيئة الجديدة التي وضعت فيها " [١] .

والسياق هو : " مجرى الكلام وهو إما أن يكون قرينة لفظية متقدمة أو متأخرة أو مزدوجة – أي متقدمة ومتأخرة – أو قرينة حالية[٢] ، وقد استقر مصطلح السياق في الدراسات اللغوية الحديثة باشتماله على السياق اللغوي

(١) السابق ص ١٧٦ .

(٢) الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي د/ كاصد ياسر الزيدي مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل ١٩٩٥ م ، ص ١١٤ .

والسياق الحالي .

أما دلالة السياق الإيحائية فيمكن القول بأنها : تلك الدلالة المستنطقة من معرفة كل ما يحيط باللفظ أو التركيب أو النص من ألفاظ سابقة أو لاحقة وقد يشمل النص كله ، وملابسات وأوضاع غير لفظية ، وأوضاع المخاطِب والمخاطَب وطبيعة وغرض الخطاب والمناسبة التي اقتضته وزمان ومكان الخطاب أو النص .

وترتبط دلالة السياق بنظرية عدت من أفضل المناهج لدراسة المعنى ، التي أثرت الفكر اللغوي الحديث ؛ ذلك بسبب " ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية "[١] .

وكان فيرث قد أسس نظرية في السياق استنادًا إلى العالم البولندي الأنثريولوجي {مالينوفسكى} الذى نبه إلى أن وظيفة اللغة ليست كونها وسيلة من وسائل التعبير وتوصيل الأفكار والانفعالات ، بل أن ثمة وظائف أخرى للغة كونها نوعًا من السلوك[٢] ، فاللغة عنده " صيغة من الحركة ، وليس كأداة للانعكاس " [٣].

واللغة أداة المعنى ، والمعنى عند فيرث: " كل مركب من مجموعة من

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين، للدكتور/ طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، مصر ، ص٢١٣ .

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين ص ٢١٣ .

(٣) علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م ، ص ٧١ .

الوظائف اللغوية بالإضافة إلى سياق الحال غير اللغوي ، ويشمل الجانب اللغوي للوظيفة الصوتية ثم الصرفية المورفولوجية ، والنحوية التركيبية ، والمعجمية ، ويشمل سياق الحال عناصر كثيرة تتصل بالمتكلم والمخاطب ، والظروف والملابسة والبيئة" (١).

وإذا كانت اللغة والمعنى وفق هذه النظرية أساس أي خطاب نصى ، فمحاولة اكتشاف إيحاءات النص تستلزم تضافر جانبي النص التشكيلي والمعنوي أو الدلالي ، وهذا الأخير هو المتحكم في تشكيل كل مستوياته الأخرى لتكون مسخرة لخدمته وغاية له (٢).

وإذا كان المعنى هو الهدف والغاية في السياق القرآني فهو السبيل لفهم دلالات النصوص القرآنية ، ولأجل هذه الغاية لم يغفل النص القرآني العناية بالظواهر الأسلوبية ذات الأثر في إظهار المعنى وإبرازه ، فاختار منها ما يخص الجانب الجمالي والإيقاعي . فنجد أن القرآن الكريم يلفت النظر إلى أهمية الإيحاء الصوتي الذى يجود به الصوت بجرسه وجمال إيقاعه بما يتسق مع سياق الآية والجو العام لها ، فيختار الأصوات ذات الإيقاع الشديد للسياق المماثل والأصوات ذات الإيقاع الهادي والعطوف لما يماثله .

---

(١) دراسة المعنى عند الأصوليين ص ٢١٤ .

(٢) الإشارة الجمالية في المثل القرآني { دراسة } للدكتور/ عشتار داود محمد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٥م ، ص٨٠

ولنتأمل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [١] فنجد أن إيحاء النص هنا يدل على الشدة ، لذا فإن صوت الهمزة في لفظة { أَزًّا} ناسب السياق كونه أشد الأصوات اللغوية في العربية ، ووصفها علماء الصوت الغربيون بأنها {Plosive} أي انفجاري[٢] ، على حين كان السياق في قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٣] يوحى باللين والحنان لطفًا وتحننًا على مريم بنت عمران حين أتاها الطلق وضاقت ذرعًا ، فكأن { الهاء } في لفظة { هُزِّي } موائما لإيحاءات النص ودلالة العطف والرقة بحالها[٤] ، إذ وصف { الهاء } بكونه من الأصوات الرخوة {Fvicative}[٥]، فكان السياق القرآني في كلتا الحالتين مناسبًا بأصواته وإيقاعاته لإيحاءات النص.

وقد يكون إيقاع اللفظة متسقًا مع إيحاء النص حتى لتشعر بأن سياق التركيب النصي يستدعيها دون سواها مما يماثلها من الألفاظ ، ولعل ذلك يبدو جليًا في قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [٦] حين أخبر عن

---

(١) سورة مريم أية { ٨٣ } .

(٢) الأصوات اللغوية / إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٧م ، ص ٢٥ .

(٣) سورة مريم أية { ٢٥ } .

(٤) الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن ، د/ كاصد ياسر الزيدي { بحث } مجلة العرب، دار اليمامة السعودية مج٤٠ ج ٥ و ٦ ص ٣٢٨ .

(٥) الأصوات اللغوية ص ٢٦ .

(٦) سورة الذاريات أية { ٢٩ } .

زوج إبراهيم –عليه السلام – حين بشرت بالولد فلطمت وجهها عجبًا واستغرابًا لذلك ، فعبر عن ذلك كله بفظة { صَكَّتْ } إذ دلّ إيحاء اللفظة على الشدة والقوة في الضرب مصورة اللطمة الشديدة ، فجمعت أصوات الكلمة بين الإطباق والشدة إذ أن من صفات { الصاد } الإطباق والتفخيم ، أما { الكاف والتاء } فصوتان شديدان وزاد من شدة { الكاف } تضعيفها " [1].

يتبين لنا مما تقدم أن السياق القرآني هو الموجه للتركيب وعلاقات الألفاظ فيما بينها، وأن النص كائن حي في حالة سكون يتحرك وينبض بالإيحاء ، وفقا للسياق المحيط به ليولد دلالات وأشكال جديدة .

(١)الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن { بحث } ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

المبحث الثاني

تماثل الأصوات وأثره في إيحائية الإيقاع

إن تتابع الأصوات في السلسلة الكلامية نابع من التجاور والالتصاق بين الوحدات الصوتية المكونة للألفاظ ، فهذه الوحدات المكونة للبنى الصوتية غالبًا ما تتنوع وتتأثر فيما بينها فضلًا عن أن الكلام لا يتحدد إلا من خلالها ، فالبناء الصوتي لأى لغة خاضع لمدى انسجام العناصر المكونة له ، واللغة العربية واحدة من اللغات المحددة العناصر ، لكن هذا التحديد لم يحد من تطورها ، وإنما أثبتت هذه اللغة على مر العصور كينونتها التطورية من خلال تآلف حروفها وانسجام ألفاظها ، فهي لغة وجدت لنفسها صيغة تتناسب وطبيعتها الصوتية ، والسمات الصوتية التي تتمتع بها هذه اللغة تختلف بشكل جذري عن اللغات الأخرى فلم تعتمد هذه اللغة في مسيرتها اللغوية على شكل محدد ، وإنما اتخذت من النوع شكلا مميزا لها ، فهي لا تعتمد على شكل معين في نطقها ، وإنما لها أشكال عدة منها ما هو راجع للناحية الشكلية للحرف ، ومنها ما هو نابع من طبيعة الصوت النطقية ، ومنها ما هو متأرجح بين هذا وذاك .

فمن غير شك أن الاختلاف في دلالة اللفظة يولد اختلافًا في أبنيتها الصوتية خاصة عندما تكون هذه الصياغة خاضعة في تشكيلتها اللغوية لهذه الاختلافات ، وكل هذا راجع بشكل أو بآخر إلى " ما تفرزه الأصوات من إيقاع حين

تضم لبعضها وفق نسق تركيبي لإنتاج بيان لغوى معين " [١] .

والنسق التركيبي لا يتأتى من خلال شكل محدد ؛ أي إن النسق التركيبي للألفاظ المكونة لأى سياق لا يعتمد على صيغة ثابتة ، وإنما قد يعتمد المماثلة ، كما قد يعتمد المخالفة ، وأقصد بالمخالفة هاهنا ؛ إنّ أيّ تركيبة لفظية تخضع في تركيبتها اللغوية للنظام الدلالي بشكل مباشر، أو غير مباشر ، فلا يمكن للسياق مثلًا أن يعتمد في بنائه على نظام المماثلة الصوتية ، أو نظام المخالفة الصوتية وإنما يتحدد الكلام وفقا لأصوت الحروف الدالة على معانى مفهومة ومن مخارج مختلفة [٢] .

ومن هنا يتضح أن لمخارج الحروف دورًا فعالًا في تحديد الصوت المنطوق ومن ثم تحديد مدى فاعليته في التشكيلة الكلامية " فإذا كان الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قريبه ولصيقه[٣]. فكيف يمكن أن تنظر إلى عملية التماثل الصوتي ؟ وكيف يمكن أن يؤثر هذا التماثل في إيقاعية الكلام ؟ يمكننا القول أن ما يحدد مدى مواءمة الأصوات فيما بينها هو السياق أولًا وآخرًا ، فالهدف الصوتي هو

(١) علم الصرف الصوتي ، للدكتور / عبد القادر عبد الجليل ، سلسلة الدراسات اللغوية ١٩٩٨م ص ١٥٠ .

(٢) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، عني بتصحيحه / خير الدين الزركلي ، المطبعة العربية ، مصر ١٩٢٨ م ، ٢١/٣ .

(٣) الخصائص ، لابن جنى ، الطبعة الثانية ، تحقيق / محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ م ، ٢٢٧/٢ .

المقصود ، إذ إن التقارب الصوتي لمخارج الحروف يولد تماثلًا صوتيًا عند النطق بها ، كما أن سمة الصوت تؤثر تأثيرًا مباشرًا أيضًا على عملية النطق فالأصوات في تماثلها تتأثر من خلال علاقاتها مع بعضها في تجاورها ونطقها من خلال شدة الصوت المؤثر وقوته ، وكلما كان الصوت المؤثر أقوى كان تأثيره بارزًا وواضحًا على الأصوات المجاورة له ، فالتماثل إما يكون جزئيًا وإما يكون كليًا ، والأول يحدث من خلال المشابهة الجزئية بين صوت وآخر، وهذه المشابهة لا تصل لدرجة التبادل الصوتي في أثناء عملية النطق ، وإنما يحدث هناك تقارب صوتي ما بين الجهر والهمس وكما هو معروف فإن الكثرة " الغالبة من الأصوات اللغوية في كل كلام مجهور، ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقى ورنينها الخاص " [١] ، فالجهر هو الذى يمنح الأصوات رنينها وإيقاعها ، بعكس الهمس الذى ينخفض فيه الرنين [٢] .

لكن هذا لا يعنى أن الأصوات المهموسة ليس لها إيقاع ، وإنما ينخفض فيها فمثلًا قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [٣] فنجد أن لفظة يصطرخون احتوت صوتًا مؤثرًا ومتصلًا بالصوت المجاور ، فالصاد في اللفظ قلبت سينًا بتأثير

(١) الأصوات اللغوية ، للدكتور / إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م ، ص ٢١ .

(٢) المدخل إلى علم أصوات العربية ، للدكتور / غانم قدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي بغداد ٢٠٠٤م ، ص ٢٢٥ .

(٣) سورة فاطر أية { ٣٧ } .

الطاء بعدها فكأننا نسمع بدلًا من الصاد سينًا .

يصطرخون - يسطرخون

فهذه المماثلة التجاورية التي حدثت في هذا اللفظ الآنف الذكر كانت نتيجة التأثير الصوتي للحرف اللاحق على الحرف السابق .

- وتجاور الحروف يولد مماثلة صوتية فلفظة { مُّسْتَطَرٌ }[1] في قوله تعالى ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ فيها من التجاورات الصوتية ما جعل فيها مماثلة مضاعفة عن غيرها من الألفاظ ، وكأن صوت { السين } المهموس قد مُنِح خصوصية صوتية من خلال تجاوره مع الصوتين{ التاء والطاء } ، فكأن تأثير كل منهما على الآخر واضحٌ في خلق هذه المماثلة الصوتية الآتية من خلال التجاور ومن خلال الهمس في الأصوات ، فالتماثل مثلما ينتج عن الأصوات نجده أيضًا يتأتى عبر التردد الصوتي لبعض هذه الأصوات فقد يتولد التماثل من خلال تكرار بعض الأصوات :-

قال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [2] فنلاحظ هنا أن تتابع صوت { السين } له إيجاد إيقاعيٌّ مهموسٌ تأتى من تردده .

وعلى ذلك فالتماثل الصوتي لهذا الحرف المهموس جاء من خلال اقتران

(١) سورة القمر اية { ٥٣ } .

(٢) سورة التكوير الآيات { ١٥ : ١٩ } .

الهمس بمعنى الخفاء ، والحروف المهموسة تتجلى في الصوت الذى لا تتذبذب الأوتار الصوتية في حال النطق به [١] ، وعنصر التكرار لهذه الأصوات المهموسة أضفى على السياق طاقة تعبيرية رسمت لنا صورة نفسية معبرة بما اشتمل عليه الحرف من معنى انسجم مع التتابع الصوتي .

– ومما يدخل في باب تماثل الأصوات ما يحدث من { إدغام نطقي } في حالة نطق بعض الحروف المتجاورة مع بعضها كما في إدغام { النون الساكنة } مثال ذلك قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ﴾ [٢].

فهذا الإدغام يولد نوعًا من الإيقاعية التخفيفية في نطق هذه السياقات مما يوجد إيقاعية متميزة ، والإدغام يعد من أعلى صور المماثلة في الأصوات ؛ إذ إننا من خلال ما يحدث من إدغام بين الحروف نلحظ صورًا عدة للتماثل الصوتي وهذا الإدغام النطقي القصد منه التخفيف فليس القصد منه " إدخاله فيه على الحقيقة ، بل هو إيصاله به من غير أن يفك بينهما " [٣] .

–والتقارب الصوتي لمخارج الحروف يولد تماثلًا صوتيًا عند النطق بها، كما أن سمة الصوت تؤثر تأثيرًا مباشرًا أيضًا على شدة الصوت ، والسياق القرآني اتخذ

(١) علم اللغة العام {الأصوات}، للدكتور / كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ١٩٩٠م ، ص٨٧

(٢) سورة الزلزلة أية { ٧ } .

(٣)شرح شافية ابن الحاجب ، للاستراباذي ، تحقيق / محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م ٢٣٥/٣ .

من الأبعاد الصوتية للألفاظ وقوتها الدلالية مسارًا للتعبير عن المعنى فلكل مفردة في هذا السياق قدرة إيحائية تتضح من خلال إيقاعية اللفظة وموسيقية حروفها ، فالصوت في البناء التركيبي لألفاظ القرآن يعد كاشفًا فعالًا عن مدى فاعلية التعبير فيزداد الصوت قوة وشدة في السياق الذى يتطلب ذلك :- قال تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (١) وقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٢) فقد عدل السياق عن { قادر} إلى { مقتدر } على الرغم من كون اللفظتين تدلان على القوة ، لكنه جاء بلفظة {مقتدر} بزيادة الميم الذى يتميز بقوة اسماعية عالية وصوت التاء الذى يفيد الدلالة على الفاعلية (٣) .

وهذان الصوتان جاءا ليعبرا عن فخامة هذه المقدرة بفخامة { الجرس الإيقاعي } الذى تميزت به هذه اللفظة عن نظيرتها ، فالزيادة الحرفية ولدت زيادة في المعنى ، وزيادة في القوة "فمقتدر هنا أبلغ من قادر ، وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر وشدة الأخذ ..... أو للدلالة على بسط القدرة " (٤) .

-كما أن السياق التركيبي للألفاظ هو الذى يحدد إيقاعية هذه الألفاظ ،

(١) سورة القمر أية { ٤٢ } .

(٢) سورة الكهف أية { ٤٥ } .

(٣) علم الصرف الصوتي ، لعبد القادر عبد الجليل ، ص ٨٦ .

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الاثير ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ١٩٣٩م ، ٢٥١/٢ .

فضلًا عن مدى انسجامها وملاءمتها للسياق وقدرتها على تحقيق التوازن ، ويتحقق كل ذلك من خلال الطبيعة الموسيقية والايحائية للأصوات ، ومدى تماثلها الصوتي الذى يوجد جوًا تعبيريًا مناسبا مع السياق العام للآيات،وأمثلة ذلك كثيرة .

قال تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (١) .

فالتماثل في هذه الآية جاء من خلال تكرار الألفاظ بمقاطعها ، وكذلك من خلال الانتظام النغمي للأصوات المكونة لهذه اللفظة { غَشِيَهُمْ } .

فالتراتبية الإيقاعية جاءت من خلال ذلك الانتظام ما بين الأصوات ، وهذا النسق الموسيقى الذى يمكن الإحساس به ليس فقط من خلال تراتبية الأصوات ، وإنما من خلال الدلالة اللفظية لهذه الألفاظ التي تصور الثقل النفسي من جراء مصيرهم المحتوم بالموت فلفظة {غَشِيَهُمْ } ودلالة { الْيَمِّ} كل هذا دل على وقوع العذاب بهم، والمراعاة الصوتية كانت باعثًا لمراعاة لفظية فيها من الدلالة ما يوازى بينهما،فأعطت بذلك الأصوات في سياقها الدلالي صورة معبرة عن المشهد .

-وتماثل الوحدات الصوتية يولد إيقاعًا متتابعًا يمكن للمتلقي أن يلمسه من خلال النسق الصوتي ، فلفظة { الطَّامَّةُ } الواردة في سورة النازعات ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ (٢) وكذلك لفظة { الصَّاخَّةُ } الواردة في سورة عبس

(١) سورة طه أية { ٧٨ } .

(٢) سورة النازعات أية { ٣٤ } .

﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ ﴾ (١) وكذلك لفظة { الْمُدَّثِّرُ } الواردة في سورة المدثر ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (٢)ولفظة{ الْمُزَّمِّلُ} الواردة في سورة المزمل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ (٣) ولفظة {مُدَّكِرٍ } الواردة في سورة القمر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (٤) .

وقد تكررت هذه اللفظة {مُدَّكِرٍ } على مدار السورة ، فالتضعيف الصوتي قد أعطى فخامة في الجرس الإيقاعي لهذه الألفاظ ، وكأن هذه الحروف جاءت لتؤكد من خلال هذا التضعيف الحرفي القوة الدلالية لهذه الألفاظ ، فالتماثل الصوتي منح السياق شدة صوتية لا يمكن اغفالها بأي شكل ، فالأصوات تابعة للمعاني " فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت ويكفيك من ذلك قولهم : قطع وقطّع ، وكسر وكسّر ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه " (٥) .

(١) سورة عبس أية { ٣٣ } .

(٢) سورة المدثر أية { ١ } .

(٣)سورة المزمل أية { ١ } .

(٤) سورة القمر أية { ١٧ } .

(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، لابن جنى ، تحقيق / علي النجدي ناصف ، طبعة القاهرة ١٣٨٦هـ ٢/٢١٠ .

المبحث الثالث

مظاهر الإيقاع في النص القرآني

توطئة :-

تلمح في القرآن الكريم فروقًا واضحة بين مجموعة من الأصوات في إيقاعها ، والتي كونت كلمة معينة في النص ، وبين تلك الأصوات التي كونت كلمة أخرى ، وتتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة تختلف عن سواها قوة أو ضعفًا ، رقةً أو خشونة ، حتى تدرك بين هذا وذاك المعنى المحدد المراد به إثارة الفطرة ، أو إذكاء الحفيظة أو مواكبة الطبيعة بدقة متناهية ، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقى اللفظ منفردًا ، أو بتناغم الكلمة وحدها ، بل بدلالة الجملة أو العبارة منضمّة إليه .

إن إيقاع اللفظ المفرد ، وتناغم الكلمة الواحدة ، عبارة عن جرس موسيقى للصوت فيما يجلبه من وقع في الأذن ، أو أثر عند المتلقي ، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية ، لهذا كان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوبًا مع معطيات الدلالة الصوتية : " التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها " [1] . فتوحي بأثر موسيقي خاص ، يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض ، و يستقرأ من خلال تشابك النص في عبارته ، فيعطي مدلولًا متميزًا في مجالات عدة : الألم ، البهجة ، اليأس الرجاء ، الرغبة ، الرهبة ، الوعد ، الوعيد

(١) دلالة الألفاظ ، للدكتور / إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ص ٤٦ .

الإنذار ، التوقع ، الترصد ، التلبث . . . إلخ .

واستقلال أية كلمة بحروف معينة ، يكسبها صوتيًا ذائقة سمعية منفردة ، تختلف . دون شك – عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه ، مما يجعل كلمة ما دون كلمة – وإن اتحدا في المعنى – لها استقلاليتها الصوتية ، إما في الصدى المؤثر ، وإما في البعد الصوتي الخاص ، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى ، وإما بإقبال العاطفة ، وإما بزيادة التوقع ، فهي حينًا تصك السمع وحينًا تهيئ النفس ، وحينًا تضفي صيغة التأثر فزعًا من شيء ، أو توجهًا لشيء ، أو طمعًا في شيء ، وهكذا .

هذا المناخ الحافل تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ ، وهي تشكل في القرآن الوقع الخاص المتجلي بكلمات مختارة ، تكونت من حروف مختارة ، فشكلت أصواتًا مختارة ، هذه السمات في القرآن بارزة الصيغ في مئات التراكيب الصوتية في مظاهر شتى ، ومجالات عديدة ، تستوعبها جمهرة هائلة من ألفاظه في ظلال مكثفة في الجرس والنغم والصدى والإيقاع .

قال الخطابي إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة : " لفظ حاصل ، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ، ولا أجزل ، ولا أعذب من

ألفاظه " [١] .

وقد وصفت هذه الألفاظ القرآنية بثلاث صفات ميزتها عن غيرها وهي : " جمال وقعها في السمع واتساقها الكامل مع المعنى ، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى " [٢].

وليس من شك في إن " الجمال الصوتي ، والتناسق الفني ، والإيقاع الموسيقى هو أول شيء أحسته الأذن العربية " [٣] .

فالعرب لم يعهدوا من منثور كلامهم سواء أكان مرسلًا أم مسجوعًا مثيله " خيل لهم أن القرآن شعر لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة ، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة ، لم يعرفوا شيئًا قريبًا منها إلا في الشعر" [٤] ، فموسيقى القرآن " تتشابه أجراسها وتتقارب أنفاسها فلا يفتأ السمع أن يملها والطبع أن يمجها....." [٥] .

---

(١) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق / محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام دار المعارف ، مصر ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٢٧ .

(٢) التعبير الفني في القرآن ، للدكتور / بكري شيخ آمين ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م ص ١٧٩ .

(٣) التعبير الفني في القرآن ، للدكتور / بكري شيخ آمين ص ١٨٤ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، تحقيق / مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م ، ٢٢٣/٢ .

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ٢ / ٢٢٣ .

إن هذه السمة التي يتمتع بها النص القرآني تشير إلى مسألة جوهرية غاية في الأهمية ألا وهى مدى مراعاة النص القرآني للمتلقي وسمعه الذى يكون الأداة الأولى من أدوات فهم النص واستيعابه طاقات النص الدلالية الظاهرة والباطنة .

وكان من فضيلة القرآن الصوتية أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة،وتمرس في استيفاء وجوه التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة .

وسنلقي الضوء في هذا المبحث على المظاهر البارزة التي شغلت حيزًا كبيرًا من الجانب الإيقاعي في النص القرآني : -

١ - الفاصلة القرآنية .

٢ - التكرار .

الفاصلة القرآنية : -

ينفرد النص القرآني بخصائص فنية أكسبته صفة التفرد في مكونه النسيجي، فهو خطاب ذو ميزة جمالية " طالما وقف العقل الإنساني إزاءها عاجزًا نظرًا لما يتمتع به من بعد مزدوج عبر توظيفه الجمالي في خدمة التواصل ، ليتمازجا معًا في بوتقة واحدة ، لم يكن لأى خطاب أدبى أو تواصلي أن يجاريه فيه " [١] .

ولعل من أبرز ظواهره الجمالية ظاهرة الفاصلة القرآنية ، التي تعد من

(١) الإشارة الجمالية في المثل القرآني ، للدكتور/ عشتار داود محمد ، ص ٩ .

الظواهر الأسلوبية البارزة التي أضفت عليه لمسة فريدة أشبه باللحن الموسيقى القادر على الإيحاء والتأثير الفني والجمالي ، وطريقة متميزة من طرق التعبير وتعد الفاصلة درة من درر أسلوب البيان القرآني ، وجوهرة ثمينة من كلام العزيز الحكيم وقد حظيت بعناية كبيرة من قبل الدارسين : لغويين وأدباء ومفسرين على مر العصور والأزمان ، ولذلك كانت لنا مع الفاصلة القرآنية مجموعة من الوقفات في هذا المبحث .

تعريف الفاصلة في اللغة :

للفاصلة تعريفات لغوية :-

الفاصلة : "مأخوذة من الفعل { فصل } وجمعها فواصل وهى الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد ٠الفاصل: الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلًا فانفصل وفصلت الشيء أي قطعته " [١] ٠

والفاصلة: " الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ، والفصل : القضاء بين الحق والباطل " [٢] ٠

(١) المنجد في اللغة والأعلام ، للويس معلوف ، مادة { ف ص ل } ص ٣٥٨ دار المشرق ط٣٠ ، بيروت ١٩٨٨م .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور، مادة { ف ص ل } ١١ / ١٨٨ ، ١٨٩ .

وآخرى اصطلاحية :-

قيل أنها : " كلمة آخر الجملة " [١] .

وقيل إن : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني" [٢].

وقيل إنها : " أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر واحدتها فاصلة " [٣] .

وقيل إنها : " كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع " [٤] .وقال بذلك السيوطي [٥] .

وقيل هي : " تلك النهاية التي تذيل الآيات القرآنية " [٦] .

هذا فيما يخص تعريف الفاصلة ، أما تحديدها فقد اختلف فيه كثير من العلماء ؛ لأن الفاصلة في حد ذاتها تأخذ أشكالًا متعددة ، فقد تكون كلمة ، وقد

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١ / ٥٣ دار لبنان .

(٢) إعجاز القرآن ، للباقلاني ، تحقيق / سيد أحمد صقر ، ص ٢٧٠ ،دار المعارف ط ٣ ، مصر ١٩٧١م .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة { ف ص ل } ١١ / ١٨٩ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٥٣ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٢٦٠ ، مطبعة المشهد الحسيني الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٧ م .

(٦) التعبير الفني في القرآن الكريم ، لبكري شيخ آمين ، ص ٢٠١ .

تكون مقطعًا من كلمة ، وقد تكون جملة [١] ، ولذلك عدها سيد قطب إيقاعًا متشابهًا تنسجم به الآيات دونما تحديد لها فيما إذا كانت حروفًا أو مقطعًا صوتيًا أو جملة " [٢] .

وموقعها في الآيات يشبه موقع القافية في بيت الشعر ، فكما أن للقافية موقعا متميزًا فللفاصلة أيضًا مكانة متميزة كونها جزءًا أصيلًا لا غنى عنه في الآيات القرآنية[٣] ، فتعد بإيقاعاتها مركز الثقل فيها، لتكون مكونًا ينساب مع نظم السورة وسياقها فلا تنفصم جزئياته عن المكون التركيبي للآية والسياق العام للسورة ككل بما تؤديه من دلالة تتناسب ومعانى السورة ومقاصدها ؛ لذا عرفت الفاصلة بأنها " حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني" [٤].

والفاصلة القرآنية : " تحمل شحنتين في آن واحد : شحنة من الوقع الموسيقى وشحنة من المعنى المتمم للآية " [٥] ، لذا كانت عناية النص القرآني

(١) التناسب البياني في القرآن ، لأحمد أبو زيد ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ١٩٩٢ ، ص٣٥١ .

(٢) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ١ / ٥٤٧ ، دار الشروق ط١٥ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) التعبير الفني في القرآن الكريم ، لبكري شيخ آمين ، ص ٢٠١ .

(٤) النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، تحقيق / محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ص ٨٩ ، وإعجاز القرآن ، للباقلاني ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، ص٢٧٠ .

(٥) التعبير الفني في القرآن الكريم ، لبكري شيخ آمين ، ص ٢٠١ .

بالفواصل ملحوظة وواضحة ، على أنه لا يعنى بها على حساب المعنى أو السياق بل " يختار الفاصلة مراعى فيها المعنى والسياق والجرس ، ومراعى فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى " (١) .

فهناك علاقة قوية بين الفاصلة والأبنية الدلالية للآيات.

فالجمال الصوتي والموسيقى للفاصلة ينشأ عن التناغم اللفظي والتناسق بين الحروف والمقاطع للفاصلة الواحدة حتى لتشعر كأن هندسة خفية من أصوات الحروف وأجراسها وبين المعاني والدلالات التي يوحيها النص القرآني ؛ ذلك لأن لهذه الفواصل قدرات فنية قادرة على بث نغمات نفسية ومعنوية وإيقاعًا يمنح الإنسان طمأنينة ، باعثة على شعور نفسى بالارتياح ٠

فالإيقاعية القرآنية : " فاعلية جمالية ، من شأنها تحديد البنية الشكلية للسورة من خلال مستواها الخارجي المجسد في الفواصل ، فهو ليس مجرد شكل يجارى السورة في جملها ، بل هو تنظيم متوال لعناصر متغيرة كيفا في خط واحد بصرف النظر عن اختلافها الصوتي "(٢).

(١) التعبير القرآني ، للدكتور/ فاصل السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٩٨م ، ص٢١١ .

(٢) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، لشارف مزاري ، ص١٤٠ ٠

معاني الفاصلة :-

وأما معانيها فهي متعددة نذكر منها :-

١-التبيين والتوضيح [١] ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[٢] .

٢- الحجة والدليل[٣] : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤]

.

٣- بمعنى الخروج [٥] : قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾[٦] .

٤- بمعنى القيامة[٧] : في الآية الكريمة : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ

---

(١) تفسير القرآن الكريم ، لابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ ، ٢ / ١٦٠ .

(٢) سورة الأنعام الآية { ٩٨ } .

(٣) تفسير القرآن الكريم ، لابن كثير ٢ / ٤١٤ .

(٤) سورة يونس الآية { ٢٤ } .

(٥) تفسير القرآن الكريم ، لابن كثير ١ / ٣٠٣ .

(٦) سورة البقرة الآية { ٢٤٩ } .

(٧) تفسير القرآن الكريم ، لابن كثير ٤ / ١٤٦ .

أَجْمَعِينَ ﴾[1] .

أنواع الفواصل في القرآن :-

للفاصلة دور بالغ في تمييز نظم القرآن عما سواه حيث أنها تؤثر على المضمون بدلالتها وعلى الإيقاع بمقاطعها،فيتم بها المعنى وتستريح لها النفس .

وللفواصل في القرآن أنواع متعددة ، من أهمها : –

١ - **الفواصل المتماثلة بالحروف** : كقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ والبَيْتِ المَعمُورِ ﴾ [2] .

فكلمات : { الطور ، مسطور ، منشور ، المعمور} تنتهى بفاصلة واحدة وهو حرف الراء، وفى قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[3]. وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [4] .

لقد استقلت الفواصل المتماثلة بإحدى عشر سورة من السور القصار في القرآن وهى سور : –

– القمر ، والقدر ، والعصر ، والكوثر ، وقد تماثلت فواصلها في حرف الراء .

---

(١) سورة الدخان الآية {٤٠ } .

(٢) سورة الطور الآيات :{ ١ : ٤ } .

(٣) سورة الفجر الآيات :{ ١ : ٤ } .

(٤) سورة التكوير الآية{ ١٥ : ١٨ } .

- سورتا الأعلى ، والليل ، وتماثلت فواصلها في حرف الألف المقصورة .
- سورة الشمس وفواصلها تشكل من ألف ممدودة بعدها { ها } .
- سورة الإخلاص وفاصلتها تنتهى بحرف الدال .
- سورة المنافقون تنتهى فاصلتها بحرف النون على النون .
- سورة الناس تنتهى فاصلتها بالسين .
- سورة الفيل تنتهى فاصلتها باللام .

٢- الفواصل المتقاربة في الحروف : في قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١)، تقارب في حرف الميم والنون وكذلك في قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٢) . حدث التقارب في مقطع الدال والباء .

٣ - المتوازي : هو أن تتفق الكلمتان في الوزن والحرف كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ (٣) . فقد اتفقت الكلمتان مرفوعة وموضوعة في الوزن والحرف (٤) .

---

(١) سورة الفاتحة أية { ٣ ، ٤ } .

(٢) سورة ق أية { ١ ، ٢ } .

(٣) سورة الغاشية أية { ١٣ ، ١٤ } .

(٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٧م ، ٣ / ٢٦٣ .

٤ - **المتوازن** : وهو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[١]فقد اتفقت الكلمتان { مَصْفُوفَةٌ و مَبْثُوثَةٌ } في الوزن [٢] .

وقد يراعى في الفواصل الألف المدية في مثل قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[٣] ، لقد زيدت الألف في كلمة الظنون لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألف منقلبة عن تنوين في الوقف ، فألحقت بالنون ألف لتسوية المقاطع وتناسب نهايات الفواصل ، أو حذف حرف كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [٤] ، حذفت الياء للتخفيف لأن مقاطع الفواصل السابقة واللاحقة بالراء أو تأخير ما حقه التقديم لغرض بلاغي كتشويق النفس للفاعل في مثل قوله تعالى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [٥] لأن الأصل في الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويتأخر المفعول [٦] .

---

(١) سورة الغاشية أية { ١٥ ، ١٦ } .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ١ / ٦٧ .

(٣) سورة الأحزاب أية { ١٠ } .

(٤) سورة الفجر أية { ٤ } .

(٥) سورة طه أية { ٦٧ } .

(٦) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ١ / ٦٠ ، ٦١ .

وتنوع الفواصل وتغايرها يكون تبعا لسياق الآيات ونظم السورة فتأتى الألفاظ في السياق القرآني بما يوائم فواصل الآيات وينسجم معها حتى وإن كانت اللفظة غريبة عن الأسماع كلفظة {ضِيزَى } الواردة في قوله تعالى : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (١) إلا أن المتأمل لجرس اللفظة يجده ملائمًا كل الملائمة لسياق السورة التي تنتهى فواصلها بالألف المقصورة ، ولو جيء بلفظة أخرى تناظرها في المعنى كظالمة أو جائرة لما وفت حقها من أداء المعنى(٢) . فجرس { الضاد }المستعلي المفخم ، وإيحاء المدين الياء والألف صورا المتهكم المستغرب حين يميل يديه ورأسه تعبيرًا عن تلك القسمة غير العادلة (٣) .

إذن للفاصلة وظيفة بنائية فضلًا عن وظيفتها الإيقاعية ، فهي تقوي الدلالة وتحسن المعنى وتثرى النص القرآني بدلالات أخرى تنبعث من الكلمة وإيحاءاتها .

وإيقاعات الفواصل تتغاير وتتموج " طولًا وتوسطًا وقصرًا وتتصاعد درجاتها النغمية ؛ وذلك يبعث على شحذ أذهان المتلقين وينأى بهم بعيدًا عن الملل والسأم ؛ ذلك لأن : " الكلام إذا استمر على جرس واحد وإيقاع واحد ، لم يسلم من

(١) سورة النجم أية { ٢١ ، ٢٢ } .

(٢) التصوير الفني في القرآن الكريم { دراسة تحليلية } للدكتور/ جبير صالح حمادي، مؤسسة المختار، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص١٧٣ .

(٣) الجرس والايقاع في تعبير القرآن، للدكتور/ قاصد ياسر الزيدي، ص ٣٤٦ .

التكلف وإثارة الملل في النفوس" [١] . كما أنه في الوقت نفسه باعث على الالتفات إلى دقة التناسب الصوتي للنص القرآني .

التكرار : -

توطئة :-

تمتلك الألفاظ طاقات إيحائية وتصويرية وظلالًا تضفى عليها هالة من الألوان الدلالية ، وليس المقصود هنا اللفظ المنفرد بمعزل عن سياق التركيب بل تلك الألفاظ التي تنسبك مع غيرها داخل سياق نصى ما " فالألفاظ تلقى ظلالًا حول النص ، تنسجم معه وتزيد من أحاسيس الملتقى وانفعالاته " [٢] ، وذلك أن " لذة النص تتحقق بأكبر قدر ممكن عن طريق الغور في أغوار الأبعاد الجمالية التي عمقتها الدلالات الهامشية المحيطة به" [٣].

فثمة ألفاظ تتميز بوقعها الصوتي وجرسها الموسيقى المعبر الذى يمد النص بإيحاءات ذات قوة تعبيرية عن المعنى[٤] ، وتكتسب من السياق جوًا خاصًا وشحنة من المعنى منبعها تكرار صوت أو حرف ، وقد يكون سحر الإيحاء والتصوير نابعًا من تكرار الكلمة واللفظة أو التركيب .

(١) الجرس والايقاع في التعبير القرآني ، للدكتور/ قاصد ياسر الزيدي ، ص ٣٥٣ .

(٢) التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، دار المعارف ، مصر ، ص ٧١ .

(٣) وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ، لمحمد محمد يونس علي ، منشورات جامعة الفاتح ، ليبيا ١٩٩٣م ، ص١٦٦ .

(٤) السابق ، ص١٧١ .

فالتكرار إذن تواتر للأصوات والألفاظ والتراكيب والبنى والأساليب داخل النص، وتكرار لفظ بعينه يمنح النص فائدتين إحداهما : معنوية ودلالية تعمق المعنى الذى حمله اللفظ المكرر ، ويظهر أثرها في السياق أو العكس حين يؤثر السياق فيها، والأخرى: صوتية إذ يمنح التكرار بتردد أصوات معينة على خلق بنية قادرة على تصوير المعنى وتمثيله .

ويزيد التكرار المعنى قوة وتوكيدًا وشدة ؛ ذلك لأن زيادة المبنى تفضى إلى زيادة المعنى إذا كان التكرار في أصوات وحروف اللفظة ، أما إذا كان التكرار في الكلمة أو التركيب فإنه ذو وظيفة تعبيرية وفكرية ، إذ إن إيقاعاته ترتبط بالمعنى والمحتوى .

وقد عُرف التكرار في اللغة والاصطلاح بعدة تعريفات :

تعريف التكرار لغة : -

أصله مأخوذ من الكر وهو الرجوع ، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف ، فكرر الشيء أي أعاده مرة أخرى ، الكر:الرجوع،ويقال : كررت الشيء تكريرًا وتكرارًا [1] .

(١) لسان العرب ، لابن منظور ١٣ / ٤٦ مادة { ك ر ر } تحقيق / عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٢ م .

تعريف التكرار اصطلاحاً :-

هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد والمعنى واحد [١] .

المؤيدون للتكرار في الفاصلة القرآنية : -

يرى هؤلاء في التكرار أسلوبًا من أساليب العرب التي جاء بها القرآن ليحقق أهدافًا معينة من شأنها إثراء المعنى ، فمنهم :-

- من يرى أن الهدف من تكرار القصص في القرآن مرده إلى تجديد الموعظة وتنبيه الغافلين :-

فقد كانت وفود العرب ترد على النبي- ﷺ - فيقرئهم شيئًا من القرآن ، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة نوح إلى قوم وقصة لوط إلى قوم ، وقصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم [٢]

- ومنهم من قسم التكرار إلى قسمين :

ممدوح ومذموم ، فأما الممدوح : فيشترط فيه أن تكون هناك حاجة إليه ، وأن تكون فيه زيادة ، ويكون المكرر من الأمور التي تعظم العناية بها ، وأما القسم

---

(١) القصص القرآن ، إيحاؤه ونفحاته ، لفضل عباس ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان عمان ١٩٨٧م ص١٩ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق / السيد أحمد صقر، دار التراث ، الطبعة الثانية ١٩٧٣م ص ١٨٠

المذموم : وهو ما أمكننا الاستغناء عنه،وليس في القرآن شيء من هذا النوع [١] .

- **ومنهم من ذكر أن للتكرار فوائد عديدة منها**: -

– إن إبراز الكلام الواحد في أساليب مختلفة وفنون كثيرة ، لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

– تكرار القصة في مواضع مختلفة يثبت عجز العرب عن مجاراة أسلوب القرآن والإتيان بمثله بأي نظم كان .

– إن تكرار القصة يزيد فيها شيئًا ، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى– عليه السلام– ، وذكرها في موضع آخر ثعبانًا ، فالمعنى المستفاد : ليست كل حية ثعبانًا .

–ومنهم من يقول : " فائدته أن يحددوا عند استماع كل نبأ منها اتعاظًا وتنبيهًا وأن كلا من تلك الأنباء مستحق لاعتبار يختص به ، وأن ينبهوا كي لا يغلبه السرور والغفلة " [٢] .

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني ، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق/ محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٣٥ .

(٢) الكشاف،للزمخشري ، مطبعة دار الاستعانة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٦هـ /١٩٤٦م ٢ / ٤٣٥ .

المنكرون :-

إن الذين ينكرون وجود التكرار في القرآن يرون أن معنى الكلمة يختلف من موضع لآخر ، فاللفظ واحد والمعاني متعددة ، فمنهم : -

من حاول إثبات أنه لا تكرار في القرآن الكريم :-

ودليله في ذلك ، قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (١) فالناظر إلى هاتين الآيتين يعتقد أن فيهما تكرار ، ولكن عند التأمل الدقيق يدرك أن الآية الأولى تختص بالعلم في الدنيا ، والثانية تختص بالعلم في الآخرة فهو إذا ليس تكرارًا (٢) .

ومنهم من يرى أن التكرار يخص طريقة العرض للسورة :

بقوله : " .... وبحسب أناس أن هناك تكرارًا في القصص القرآني ؛ لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سورتين ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في سورة واحدة من ناحية القدر الذى يساق ، وطريقة الأداء في السياق ، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفى حقيقة التكرار " (٣) .

---

(١) سورة النبأ أية { ٤ ، ٥ } .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الإسكافي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٣م ، ص ٣٦٥ .

(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ١ / ٥٥ .

ومنهم من ينفي الادعاء : -

بوجود تكرار في آيات وألفاظ من كتاب الله ، ويذكر بعض الآيات التي زعم أن فيها تكرارا :

- ففي سورة البقرة : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وبعد هذه الآية يقول ربنا : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [2] .

إن القارئ لهذه الآيات يلاحظ للوهلة الأولى أن الأمر يتعلق بتولية الوجه شطر المسجد الحرام ، فقد ذكر أكثر من مرة ، ولكنه عندما يمعن النظر يجد أن الآيات الكريمات لم تذكر للتأكيد فحسب،وإنما لكل واحدة منها غرضها الذى تؤديه .

---

(١) سورة البقرة أية { ١٤٤ } .

(٢) سورة البقرة أية { ١٥٠ } .

فالآية الأولى : جاءت لتبين للنبي – ﷺ – والمؤمنين أن هذه القبلة التي تمنيتموها ورغبتم فيها قد حققها الله لكم .

وأما الآية الثانية : فقد كان الأمر فيها لبيان قضية أخرى، وهى أن هذه القبلة التي أمركم الله أن تتحولوا إليها : هي القبلة الباقية ، فلا يبقى للناس عليكم حجة ، وهكذا يتضح أن أمر التكرار لا يستقيم مع ما تهدف إليه هذه الآيات .

-وفى سورة الكافرون : قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [1] . ففي أول السورة نداء للكافرين { يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} وفى آخرها حكم ونتيجة { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } وبينهما أربع آيات تقسم إلى مجموعتين: الأولى : {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ } بمعنى أن النبي لا يعبد ما يعبده الكافرون .

والثانية: {وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } تنفى عبادة المشركين لما يعبد النبي فمن العلماء الذين ذهبوا إلى التكرار رأوا بأنه للتأكيد ، ولكن جمهور العلماء ذهبوا إلى عدم وجود التكرار في السورة [2] .

---

(١) سورة الكافرون الآيات { ١: ٦ } .

(٢) إعجاز القرآن ، لفضل عباس ، وسناء عباس ، المكتبة الوطنية ، عمان ١٩٩١ م ، ص٢١٢ .

أنواع التكرار :-

تتنوع صور التكرار في أسلوب النص القرآني فتارة يكون تكرارًا بالصوت أو المقطع وأخرى يكون بالكلمة ، وأحيانًا يكون بالتركيب .

تكرار الصوت أو المقطع :-

يتخذ النظم القرآني أحيانًا من الصوت المتكرر وسيلة لتصوير المعنى وتجسيمه والإيحاء بما يدل عليه ، معتمدًا في ذلك على ما تتمتع به الأصوات من خصائص وصفات في الجرس والنغم ، فهي تشيع بجرسها الصوتي نغمًا يسهم في إبراز المعنى المراد فالصوت المفرد يختار بعناية وتصاحبه أصوات قد تكون متقاربة المخارج متماثلة الصفات إن احتاج الموقف ذلك ، وقد تكون متباعدة المخارج متباينة الصفات إن كان التباعد أدل على المراد وأكثر تصويرًا له ، لنتأمل النغم المنبعث من الجرس الصوتي لحرف {السين } في سورة {الناس } ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾

ومن تكرار الصوت وجرسه ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ** ﴾ [1] فإيحاءات جرس { الزاي } وأزيزه وتكراره توحى بصورة الزحزحة .

وقد ترسم المقاطع وإيقاعاتها صورة تناسب إيحاء النص فيحدث ترتيبها أثرًا كبيرًا في خلق نوع من الموسيقى الداخلية التي تناسب المعنى وتصوره كما في قوله

(١) سورة البقرة اية { ٩٦ } .

تعالى : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [١] إذ تكرر المقطع { كب } دلالة على تكرار الفعل فصور حال الكفار وهم يلقون في النار ، وصور جرس { الكاف والباء } تصويرًا ناطقًا لصوت الحركة التي تتم بها [٢] .

تكرار الكلمة :-

يكون تكرار الكلمة أحيانًا مما يستوجبه سياق الآية وإيقاعها الداخلي ليناسب مقام وإيحاءات النص ، ولعل في تكرار الراء في لفظة { صَرْصَرًا } الواردة في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ ﴾ [٣] ما يناسب سياق العذاب والعقوبة إذ دل تكرار الراء على ما تتسبب به الريح الباردة من أذى نفسى وجسدي[٤] ، فكان التكرار وظيفة معنوية تعبيرية ودلت إيقاعاته على ما ناسب السياق من هول وشدة في العذاب .

تكرار التركيب :-

أما تكرار التركيب فقد يكون له دلالات بلاغية غاية في الأهمية يومئ بها سياق النص في السورة كاملة كما في سورة { الرحمن } ؛ إذ تكررت فيها آية

(١) سورة الشعراء أية { ٩٤ ، ٩٥ } .

(٢) التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، ص ٧٣ .

(٣) سورة فصلت أية { ١٦ } .

(٤) البيان في روائع القرآن ، للدكتور/ تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ص ٣٥٥ .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إحدى وثلاثين مرة فأضفت عليها هالة من الجمال الإيقاعي المعجز[١] . وأحدث بجرسها الموسيقى إيقاعًا إيحائيًا ناسب تقرير الإنسان للنعم وتساوقًا مع جو السورة الفياض بالرحمة والإنعام [٢] .

ومن أنواع التكرار :-

تكرار وزن الكلمة :-

ويقع هذا الترداد في الآية الواحدة، وفي السورة الواحدة، وبين السور المتعددة ومنه قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣] .

تكرار مادة الجزر:-

كما في مادة { م س ك } الواردة في قوله تعالى ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [٤] .

---

(١) مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، لشارف مزاري ، ص ١٤٩ .

(٢) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، لقاصد ياسر الزيدي ، ص ٣٥٦ .

(٣) سورة فاطر أية { ٢ } .

(٤) سورة فاطر أية { ٢ ، ٤١ } .

وتظهر الأبعاد التصويرية والإيحائية للإيقاع من خلال الدلالات الصوتية الأتية:-

■ دلالة الفزع الهائل :-

استعمل القرآن طائفة من الألفاظ ، ثم اختار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها واستوحى دلالتها من جنس صياغتها ، فكانت دالة على ذاتها بذاتها ، فالفزع مثلًا ، والشدة والاشتباك ، والخصام ، والعنف ، دلائل هادرة بالفزع الهائل والمناخ القاتل .

١- مادة { صرخ } الواردة في قوله تعالى ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ....** ﴾ [١] صرخ في القرآن وصرخة : الصّيحة الشديدة عند الفزع ، والصراخ : الصوت الشديد [٢] . فهي توحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته ، والاضطراب قد تجاوز مداه ، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض ، فلا أذن صاغية ، ولا نجدة متوقعة ، فقد وصل اليأس أقصاه ، والقنوط منتهاه ، فالصراخ في شدة إطباقه ، وتراصف إيقاعه ، من توالي الصاد والطاء ، وتقاطر الراء والخاء ، والترنم بالواو والنون يمثل لك رنة هذا الإصطراخ المدوي " والاصطراخ : الصياح والنداء والاستغاثة ، افتعال من الصراخ قلبت التاء طاءً لأجل الصاد الساكنة قبلها ، وإنما

(١) سورة فاطر أية { ٣٧ } .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، طبعة بولاق ، القاهرة ٤ / ٢ { ص ر خ } .

نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق ، ويوافق التاء في المخرج " [١] .

والاصراخ : هو الإغاثة ، وتلبية الصارخ ، وقوله تعالى : ﴿ ... مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ [٢] . تعني البراءة المتناهية ، والإحباط التام ، والصوت المجلجل في الدفع ، فلا يغني بعضهم عن بعض شيئًا ، ولا ينجي أحدهما الآخر من عذاب الله ، ولا يغيثه مما نزل به ، فلا إنقاذ ولا خلاص ولا صريخ من هذه الهوة ، وتلك النازلة ، فلا الشيطان بمغيثهم ، ولا هم بمغيثيه [٣] .

والاستصراخ الإغاثة ، واستصرخ الإنسان إذا أتاه الصارخ ، وهو الصوت يعلمه بأمر حادث ليستعين به [٤] . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ... ﴾ [٥]. هو طلب للنجدة في فزع ، ومحاولة للإنقاذ في رهب ، والاستعانة على العدو بما يردعه عن الإيقاع به ، وما ذلك إلا نتيجة خوف نازل ، وفزع متواصل ، وتشبث بالخلاص .

---

(١) مجمع البيان ، للطبرسي،الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ٤١٠/٤ .

(٢) سورة إبراهيم أية { ٢٢ } .

(٣) الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ١٦٥ .

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ٤ / ٣ { ص ر خ } .

(٥) سورة القصص أية { ١٨ } .

٢ – وما يستوحى من شدة اللفظ في مادة { صرخ } يستوحى { بإيقاع } مقارب من قوله تعالى:﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ ... ﴾ (١) لتبرز {مُتَشَاكِسُونَ } وهي تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورَدٍّ لا يستقران ، وقد تعطي معنى الكلمة : متخاصمون ، ولكن المثل القرآني لم يستعملها حفاظًا على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى النزاع المستمر ، والجدل القائم ، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصفير في الشين والسين تعاقبًا ، تتخللهما الكاف من وسط الحلق والواو والنون للمد والترنم ، والتأثر بالحالة ، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغمًا موسيقيًا خاصًا حمّلها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما أكسبها أزيزًا في الأذن ، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة ،والعنف والفزع من جهة ، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى (٢)

- **مدّ الصوت وتطويله** :-

هنالك مقاطع صوتية مبالغ في تطويلها ومدها وتشديدها ، وبالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعدّ بالأصابع ، فإننا نجد القرآن الكريم يستعمل أفخمها لفظًا ،وأعظمها وقعًا، فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتها ؛ لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبث والرصد والتفكير .

(١) سورة الزمر أية { ٢٩ } .

(٢) الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ، ص ١٧٦ .

من تلك الألفاظ : الحاقّة ، الطّامة ، الصّاخة . وقد تأتي مجّردة عن التعريف فتهتدي إلى عموميتها ، مثل : دابّة . كافة .

هذه الصيغة صوتيًا تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل ، واصطكاك السمع بصداها المدوي ، وأخيرًا بتفاعل الوجدان معها مترقبًا : الأحداث ، المفاجئات النتائج المجهولة .

{الحاقة والطامة والصاخة}: كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي والأداء الجهوري لسماع رنتها ، مما يتوافق نسبيًا مع إرادتها في جلجلة الصوت ، وشدة الإيقاع وإيحائه كل ذلك مما يوضح مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل هذه العائلة الصوتية الواحدة ، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله تعالى ، وهو يوم القيامة ، خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمطابقة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي ، فقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [1]. إشارة إلى يوم القيامة ، وعلم عليها فيما أفاد العلماء ، قال الفرّاء : " الحاقة : القيامة سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء " [2] .

وقال الطبرسي : " الحاقة : اسم من أسماء القيامة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك ؛ لأنها ذات الحواق من الأمور ، وهي الصادقة الواجبة

(١) سورة الحاقة الآيات { ١ : ٣ } .

(٢) معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق / أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥م ، ٣ / ١٧٩ .

الصدق ، لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع ، صادقة الوجود . وقيل سميت القيامة الحاقة ؛ لأنها تحق الكفار من قولهم : " حاققته فحققته ، مثل : خاصمته فخصمته " (١) .

فإذا رصدت الصاخة : رأيتها القيامة أيضًا ، و به فسّر أبو عبيدة ، قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ** ﴾ (٢) . فإما أن تكون الصاخة اسم فاعل من صخَّ يصخُّ ، وإما أن تكون مصدرًا وقال الزجاج : الصاخة: هي الصيحة تكون فيها القيامة تصخ الأسماع ؛أي: تصمها فلا تسمع .

وقال ابن سيده : الصاخة : صيحة تصخ الأذن ؛ أي تطعنها فتصمها لشدتها ومنه سميت القيامة .

ويقال : كأن في أذنه صاخة ؛ أي طعنة (٣) .

والمعاني كلها متقاربة في الدلالة ، إلا أن الراغب يعطي الصاخة دلالة أعمق في الإرادة الصوتية المنفردة فيقول : " الصاخة شدة صوت ذي

(١) مجمع البيان ، للطبرسي ٥ / ٣٤٢ وما بعدها .

(٢) سورة عبس أية { ٣٣ } .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ٤ / ٢٤٧٠ { ص خ خ } ، طبعة دار المعارف .

المنطق " [١] .

فيكون استعمالها حينئذ في القيامة على سبيل المجاز .

فإذا وقفنا عند { الطامة } فهي القيامة تطم على كل شيء [٢] .

وتسمى الداهية التي لا يستطاع دفعها : طامة [٣] . قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى** ﴾ [٤] . قال الطبرسي : " وهي القيامة لأنها تطم كل داهية هائلة ؛ أي تعلو وتغلب ، ومن ذلك قيل : ما من طامة إلا وفوقها طامة ، والقيامة فوق كل طامة ، فهي الداهية العظمى " [٥] .

ولعل اختيار الطبرسي للداهية في تفسير الطامة باعتبارها داهية لا يستطاع دفعها ولأن القيامة تطم كل داهية هائلة ، لا يخلو من وجه عربي أصيل فالعرب استعملت الطامة في الداهية العظيمة تغلب ما سواها ، وأية داهية أعظم من القيامة لاسيما وهي توصف هنا بالكبرى [٦] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني ، تحقيق / محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٢٧٥ .

(٢) معاني القرآن ، للفراء ٣ / ٢٣٤ .

(٣) مجمع البيان ، للطبرسي ٥ / ٤٣٣ .

(٤) سورة النازعات أية { ٣٤ } .

(٥) مجمع البيان ، للطبرسي ٥ / ٤٣٤ .

(٦) الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ،ص ١٦٨ .

أما موافقة أصوات { الحاقة والصاخة الطامة } لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة فهي من أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والإيقاع والتلاؤم البنيوي والمعنوي لمثل هذه الصيغة الحافلة

■ الصيغة الصوتية الواحدة :

وهي تعني : تسمية الكائن الواحد ، والأمر المرتقب المنظور ، بأسماء متعددة ذات صيغة واحدة ، بنسق صوتي متجانس ، للدلالة بمجموعة مقاطعه على مضمونه، وبصوتيته على كنه معناه ، ومن ذلك تسمية القيامة في القرآن بأسماء متقاربة الصدى ، في إطار الفاعل المتمكن ، والقائم الذي لا يجحد [1] .

هذه الصيغة الفريدة تهزك من الأعماق ، ويبعثك صوتها من الجذور ، لتطمئن يقينًا إلى يوم لا مناص عنه ، ولا خلاص منه ، فهو واقع يقرعك بقوارعه ، وحادث يثيرك برواجفه. فالصدى الصوتي ، والوزن المتراص ، والسكت على هائه أو تائه القصيرة تعبير عما ورائه من شؤون وعوالم وعظات وعبر ومتغيرات ، ويتمثل ذلك في :-

{ الْوَاقِعَةُ ، الْقَارِعَةُ ، الْآزِفَةُ } ، فالدلالة المنتزعة من اللفظ ، تصل مع الجميع إلى حقيقة نازلة واحدة .

- { الْوَاقِعَةُ } ، قال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [2].

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ، ص ١٧١ .

(٢) سورة الواقعة أية { ١ ، ٢ } .

قال الخليل : وقع الشيء يقع وقوعًا ؛ أي : هويًا . والواقعة : النازلة الشديدة من صروف الدهر [١] .

وقال الراغب : الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه ، والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه ، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع : جاء في العذاب والشدائـــد [٢] .

وقال الطبرسي ، في تفسيره للواقعة : " والواقعة : اسم القيامة كالآزفة وغيرها والمعنى إذا حدثت الحادثة ، وهي الصّيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقيل : سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة ، أو لشدة وقعها " [٣] . وقـــال ابن منظور ، الواقعة : "الداهية ، والواقعة: النازلة من صروف الدهر ، والواقعة : اسم من أسماء يوم القيامة[٤].

وبمتابعة هذه الأقوال ، ومقارنة بعضها ببعض ، تتجلى الدلالة الصوتية ، فالوقوع: هو الهوي ، وسقوط الشيء من الأعلى ، والواقعة : هي النازلة الشديد والواقعة: هي الداهية ، وهي الحادثة ، وهي الصيحة ، وهي اسم من أسماء يوم القيامة ، وأكثر ما جاء في القرآن من هذه الصيغة جاء في الشدة والعذاب ،

---

(١) العين ، للخليل ، تحقيق الدكتور/ مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠م ، ٢ / ١٧٦ .

(٢) المفردات ، ص ٥٣٠ .

(٣) مجمع البيان ، للطبرسي ٥ / ٢١٤ .

(٤) لسان العرب ١٠ / ٢٨٥ ، مادة { و ق ع } .

وصوت اللفظ يوحي بهذا المعنى وإطلاقه بزنة الفاعل ، وإسناده بصيغة الماضي يدلان على وقوعه في شدته وهدته وصيحته وداهيته .

- { الْقَارِعَةُ } قال تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (١)

قال الخليل : والقارعة : القيامة . والقارعة : الشدة .

وفلان أمن قوارع الدهر : أي شدائده . وقوارع القرآن : نحو آية الكرسي ، يقال : من قرأها لم تصيبه قارعة . وكل شيء ضربته فقد قرعته (٢) .

قال الطبرسي : وسميت القارعة ؛ لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن . والقارعة اسم من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع ، و تقرع أعداء الله بالعذاب (٣) .

وإنما حسن أن توضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة (٤) .

وبمقارنة هذه المعاني ، نجدها متقاربة الدلالة ، فالقارعة الشدة ، وقوارع الدهر شدائده ، وكل شيء ضربته فقد قرعته ، والقارعة تقرع القلوب بالفزع ، وقلوب العباد بالمخافة ، وأعداء الله بالعذاب ، وهي في موضع كناية للتعبير عن

---

(١) سورة القارعة الآيات { ١ : ٣ } .

(٢) العين ١ / ١٥٦ .

(٣) مجمع البيان ، للطبرسي ٥ / ٥٣٢ ، ٥٤٣ .

(٤)مجمع البيان ، للطبرسي ٥ / ٣٣٤ .

القيامة ، من أجل التذكير بصفة القرع ، وكلها مفردات إيحائية إيقاعية تؤذن بالقرع في الأذن ، وتفزع القلوب بالشدة ، تتوالى خلالها المترادفات والمشتركات لتنتقل بك إلى عالم الواقعة ، وهي مجاورة لها في الشدة والهول والصدى والإيقاع [١] .

- { الْآزِفَةُ } قال تعالى : ﴿ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [٢] .

قال الراغب : معناه : أي دنت القيامة ... فعبر عنها بلفظ الماضي لقربها وضيق وقتها [٣] .

قال الزمخشري : والآزفة ، القيامة لأزوفها [٤] .

وفي اللغة : الآزفة القيامة ، وإن استبعد الناس مداها [٥] .

وعذوبة الآزفة في لفظها بانطلاق الألف الممدودة من الصدر ، وصفير الزاي من الأسنان وانحدار الفاء من أسفل الشفة ، والسكت على الهاء منبعثة من الأعماق ، كالرقة في معناها في الدنو والاقتراب وحلول الوقت ، ومع هذه الرقة في الصوت والمعنى ، إلا أن المراد من هذا الصفير أزيزه ، ومن هذا التأفف هديره

(١) الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ، ص ١٧١ .

(٢) سورة النجم أية { ٥٧ ، ٥٨ } .

(٣) المفردات ص ١٧ .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ، تحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٥ .

(٥) لسان العرب ، لابن منظور ١ / ٣٤٦ { أ ز ف } .

ورجيفه ، فإدناء يوم القيامة غير إدناء الحبيب ، واقتراب الساعة غير اقتراب المواعيد ، إنه دنو اليوم الموعود ، والحالات الحرجة ، والهدير النازل ، إنه يوم القيامة في إيقاعه الشديد ، فكانت الآزفة كالواقعة والقارعة .

■ **دلالة الصدى الحالم** :-

تنطلق في القرآن أصداء حالمة ، في ألفاظ يملأها الحنان ، تؤدي معناها من خلال أصواتها ، وتوحي بمؤداها مجردة عن التصنيع والبديع ، فهي ناطقة بمضمونها هادرة بإرادتها ، دون إضافة وإضاءة ، وما أكثر هذا المنحنى في القرآن ما أروع تواليه في آياته الكريمة ، فنقف عند { الرَّحْمَةِ } من مادة { رح م } في القرآن الكريم :-

قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ... ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ... لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ... ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٥).

(١) سورة البقرة أية { ١٥٧ } .

(٢) سورة آل عمران أية { ١٥٧ } .

(٣) سورة آل عمران أية { ١٥٩ } .

(٤) سورة مريم أية { ١ ، ٢ } .

(٥) سورة الإسراء أية { ٢٤} .

فأنت تنادي من صدى { الرَّحْمَة } بأزيز حالم ، وتحتفل من صوتها بنداء يأخذ طريقه إلى العمق النفسي ، يهز المشاعر ، ويستدعي العواطف ، ناضحًا بالرضا والغبطة والبهجة ، رافلًا بالخير والإحسان والحنان ، فماذا يرجو أهل الإيمان أكثر من اقتران صلوات ربهم برحمته بهم وعليهم ؟

– ولمغفرة من الله تعالى ورحمة خير مما تجمع خزائن الأرض وكنوزها وهذا محمد – صلى الله عليه وسلم – ذو الخلق العظيم ، والمخائل الفذة ، لولا رحمة ربه لما لان لهؤلاء القوم الأشداء في غطرستهم وغلظتهم .

– وهذا زكريا تتداركه رحمة من الله وبركات في أوج احتياجه وفزعه إلى الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا ﴾ (١) .

ووقفة مستوحية عند الأبوين الكريمين ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢) . فستلمس صيغة الرحمة قد تجلت بأرق مظاهرها وإيقاعاتها الصادقة ، واستعارة هادفة ، وعاطفة مهذبة ، فقد اقترنت الرحمة بالاسترحام وخفض الجناح بتواضع بل بذل إشفاقًا وحنوًا وحدبًا (٣) .

ولو تابعنا أصل المادة لغويًا لوجدنا ملائمتها للمعنى صوتيًا في الرقة واللحمة والتناسب ، فالرحم رحم المرأة ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي

(١) سورة مريم أية { ٣ } .

(٢) سورة الإسراء أية { ٢٤} .

(٣) الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ، ص ١٧٦ .

الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء ﴾ [١]. ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم من رحم واحدة نسبيًا ، لذلك قال تعالى : ﴿... **وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ...** ﴾ [٢]. ولولا قرابتهم لما كانت الولاية بينهم .

"والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلانًا . وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة ، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام و إفضال ومن الآدميين رقة وتعطف " [٣].

(١) سورة آل عمران أية { ٦ } .

(٢) سورة الأحزاب أية { ٦ } .

(٣) المفردات ، للراغب ، ص ١٩١ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن نسج على منواله إلى يوم الدين .

وبعد ،،

عكفت هذه الدراسة على محاولة في وصف الأصوات وتأثيرها في سياق النص وذلك من خلال دراسة الأبعاد التصويرية والإيحائية للإيقاع الصوتي .

فالإيقاع الموسيقي هو أقوى عناصر الجمال ، ويقوم بوظيفة جمالية مع غيره من عناصر تشكيل النص ، ويسهم في خلق مسافة جمالية تميزت بالسرعة حينًا وبالبطء حينًا آخر ، وهذا التنويع يتناسب مع جو النصوص ومضامينها ، مما يزيدها وضوحًا وجلاءً ، وقد توصلت في هذه الدراسة إلى العديد من النتائج أُجملها فيما يأتي :-

١- هناك أداءات خارجية { صوتية وغير صوتية } تسهم في تحديد معنى الكلام ، وتؤثر في دلالته .

٢- راعى النص القرآني حركة المخاطب والمتلقي في عملية التوصيل اللغوي .

٣- كان للجانب الإيقاعي الصوتي حضور مكثف في البنية القرآنية التي تلونت في كل سورة .

٤- للإيقاع الصوتي في القرآن الكريم دلالة تصويرية وإيحائية تنبئ عن دلالات ومعانٍ قد لا تعبر عنها اللفظة منفردة وحدها بجرسها وأصواتها ، إلا حين تكتسي حُلة النسق السياقي للآية .

٥- لا تدرك جمالية الإيقاع إلا لمن أوتي ذهنية ، وفكرًا متفتحًا مستوعبًا لإشارة لغة النص وإيحاءاته التي تدركها بُنى الكلمات .

٦- يحصل الإيقاع الصوتي من توقيعات صوتية تتجاوز الصوت وحده ، وقد تتجاوز الكلمة أحيانًا .

٧- ثمة وشيجة قوية تربط بين الأصوات والمدلولات ، فكل صوت يومئ ويشير إلى دلالة معينة .

٨- جمالية الإيقاع لا تتأتى من الإيقاع الخارجي فقط ، وإنما تتجاوز ذلك إلى الإيقاع الداخلي للنص الذي يحمل شحنات شعورية وتموجات نفسية .

٩- انحصرت وظيفة الصوت اللغوي في توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة من التجاور والارتباط .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم تنزه عن كل نقص .

ثانيًا : المراجع .

١- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٧ م .

٢- أساس البلاغة للزمخشري ، تحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

٣- الأسس الجمالية في النقد العربي ، لعز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٨ م .

٤- الإشارة الجمالية في المثل القرآني { دراسة } للدكتور/ عشتار داود محمد منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٥م .

٥- الأصوات اللغوية / إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م ،وطبعة ٢٠٠٧م .

٦- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، لعبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٤م .

٧- إعجاز القرآن ، للباقلاني ، تحقيق / سيد أحمد صقر ، ص ٢٧٠ ،دار المعارف الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٧١م . والطبعة الرابعة .

٨- إعجاز القرآن ، لفضل عباس ، وسناء عباس ، المكتبة الوطنية ، عمان ١٩٩١م .

٩- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

١٠- أنتروبيا الإيقاع في العربية ، للدكتورة / ليلى الشربيني ، وسيد البحراوي ، مجلة {فصول } القاهرة مج ١٥ ، العدد الرابع ١٩٧٤م .

١١- الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن ، د/ كاصد ياسر الزيدي ، مجلة العرب ، دار اليمامة السعودية.

١٢- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار لبنان .

١٣- بنية اللغة الشعرية ، لجان كوهن ، ترجمة / محمد الولي ، محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

١٤- بيان إعجاز القرآن ، للخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق / محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام دار المعارف ، مصر ، القاهرة ١٩٧٦م .

١٥- البيان في روائع القرآن ، للدكتور/ تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٦- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق / السيد أحمد صقر، دار التراث الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

١٧- التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، لسليمان العاني، ترجمة الدكتور / ياسر الملاح ، مراجعة الدكتور / محمد محمود غالي ، النادي الأدبي

الثقافي ، جده المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٨- التصوير الفني في القرآن ، لسيد قطب ، دار المعارف ، مصر .

١٩- التصوير الفني في القرآن الكريم { دراسة تحليلية } للدكتور/ جبير صالح حمادي مؤسسة المختار،القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

٢٠- التعبير الفني في القرآن ، للدكتور / بكري شيخ آمين ، دار الشروق ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م .

٢١- التعبير القرآني ، للدكتور/ فاصل السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ١٩٩٨م .

٢٢- تفسير القرآن الكريم ، لابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ .

٢٣- التناسب البياني في القرآن ، لأحمد أبو زيد ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ١٩٩٢ م .

٢٤- التنغيم في التراث العربي ، لعليان بن محمد الحازمي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة مج ١٢ ، ١٩٩٥م .

٢٥- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني ، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني تحقيق/ محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦- الجرس والإيقاع في التعبير القرآن ، د/ قاصد ياسر الزيدي ، مجلة آداب الرافدين كلية الآداب ، جامعة الموصل العدد التاسع ١٩٧٨م .

٢٧- الخصائص ، لابن جنى ، الطبعة الثانية ، تحقيق / محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ م

٢٨- دراسة المعنى عند الأصوليين، للدكتور/ طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية مصر .

٢٩- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٣م .

٣٠- دلالة الألفاظ ، للدكتور / إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية .

٣١- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي د/ قاصد ياسر الزيدي مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل ١٩٩٥ م .

٣٢- رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، عني بتصحيحه / خير الدين الزركلي المطبعة العربية ، مصر ١٩٢٨ م .

٣٣- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تحقيق / حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٥م

٣٤- شرح شافية ابن الحاجب ، للاستراباذي ، تحقيق / محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .

٣٥- الشعر العربي الحديث ، للدكتور / نعيم اليافي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨١م .

٣٦- الصوت اللغوي في القرآن ، للدكتور / محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٣٧- الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم ، محمد فريد عبد الله ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م .

٣٨- علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

٣٩- علم الصرف الصوتي ، للدكتور / عبد القادر عبد الجليل ، سلسلة الدراسات اللغوية ١٩٩٨م .

٤٠- علم اللغة العام {الأصوات } ، للدكتور / كمال محمد بشر، مكتبة الشباب١٩٩٠م

٤١- العين ، للخليل ، تحقيق الدكتور/ مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد بغداد ١٩٨٠م .

٤٢- في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، للدكتور / كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٤ م .

٤٣- في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ط١٥ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

٤٤- القصص القرآن ، إيحاؤه ونفحاته ، لفضل عباس ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان عمان ١٩٨٧م .

٤٥- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مازن الوعر ، الطبعة الأولى ، دار طلاس للدراسات ، دمشق ١٩٨٨م .

٤٦- الكشاف ، للزمخشري ، مطبعة دار الاستعانة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٦هـ ١٩٤٦م .

٤٧- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق / عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، دار صادر الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٢ م . وطبعة بولاق ، القاهرة . وطبعة دار المعارف .

٤٨- اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور / تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣م .

٤٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الاثير ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ١٩٣٩م .

٥٠- مجمع البيان ، للطبرسي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٥١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، لابن جنى ، تحقيق / علي النجدي ناصف ، طبعة القاهرة ١٣٨٦هـ .

٥٢- المدخل إلى علم أصوات العربية ، للدكتور / غانم قدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ٢٠٠٤م .

٥٣- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠١ م .

٥٤- معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق / أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥م .

٥٥- مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق / نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م .

٥٦- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني ، تحقيق / محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي القاهرة ١٩٦١ م .

٥٧- مفهوم الشعر، لجابر عصفور ، مطبوعات فرح ، الطبعة الرابعة ، قبرص١٩٩٠م.

٥٨- مفهوم النص في التراث اللساني العربي د/ بشير إبرير ، مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٣، العدد الأول لسنة ٢٠٠٧ م .

٥٩- مناهج البحث في اللغة ، للدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧٩م .

٦٠- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، تحقيق / مكتب البحوث والدراسات دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .

٦١- المنجد في اللغة والأعلام ،للويس معلوف ، دار المشرق ط٣٠ ، بيروت ١٩٨٨م.

٦٢- المنهل الصافي في العروض والقوافي ، د/ عبد الله فتحي الظاهر ، ابن الأثير للطبعة والنشر ، الموصل ٢٠٠٧م .

٦٣- نظرية إيقاع الشعر العربي ، لمحمد العياشي ، المطبعة العصرية ، تونس ١٩٦٧م .

٦٤- النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، تحقيق / محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر .

٦٥- وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية {دراسة حول المعنى وظلال المعنى} لمحمد محمد يونس على ، منشورات جامعة الفاتح ، ليبيا ١٩٩٣ م .